

5303
5/51A

أئمة الأدب

٣

ابن الحميد

بقلم

نور الدين

عبد الله

مكتبة

مفروق المطبع

١١٥٨

أئمة الأدب

٣

ابن الحميد

بقلم

خليل مرموك



مكتبة خديجة بدوي

حقوق الطبع محفوظة للأجورلف

١٣٥٠ هـ

١٩٣١ م



نقدم الى الادباء الرسالة الثالثة من رسائل ائمة الادب ولا
يسعنا الارفع الشكر الى الشباب الذين تهافتوا على منهل هذه
الرسائل السائغ .

وقد كان في نية استاذنا الكبير خليل بك مردم ان
يدرس ابن العميد والمصاحب ابن عباد في رسالة واحدة ولكنه
آثر افراد كل من الوزيرين برسالة واحدة اي في كلا منهما
حقه من المدرس والبحث .

الناشر

ابن العميد

(٣٠٠ ؟ - ٣٦٠)

من مبالغ الاعراب اني بعدهم شاهدت رسطاليس والاسكندرا
وسمعت بطليموس دارس كتبه متملكاً متبدياً متحضراً
ولقيت كل الفاضلين كأنما رد الاله نفوسهم والاعصرا
نسقوا لنا نسق الحساب مقدما واتى فذلك اذ ائتت مؤخرأ
بباني وامي ناطق في لفظه ثمن تباع به القلوب وتشتري
قطف الرجال القول وقت نباته وقطفت انت القول لما نورا
« المتنبي »

هذا هو ابن العميد الذي يذكر المتنبي ما سمعت من صفاته ،
ولعل المتنبي لم يصدق في مدح انسان ، اكثر من صدقه في مدحه
لابن العميد ، حين خطبه بهذه الابيات ، فانه مدحه بما فيه ،
مبتعداً عن الكذب وان لم يتعد عن المبالغة . فبن العميد له
صفات كثيرة ونواح متعددة ، فاقدر كان عالماً ادبياً ، كاتباً ،
شاعراً ، لغوياً ، مؤلفاً ، انتهت اليه الزعامة في الادب وفنون
البلاغة ، حكماً طويل الباع في الفلسفة والنجوم و (علوم الاول)

نياسياً محنكا داهياً ، ساس امور مملكة بني بويه احسن سياسة
في مدة وزارته الطويلة ، قائداً شجاعاً موقفاً ، قصاد الجيوش
وحارب في فتح البلدان وقمع الفتن ، عاقلاً حليماً كريماً . فهو حسنة
من حسنات القرن الرابع ازدان بها تاريخ الادب العربي .
وان كتابة على مثل هذا الرجل تستدعي عناء وثبتاً واحاطة
باطراف الموضوع مع فقد آثاره وقلة المراجع وتشتت المظان .
ولقد حاولت — والشأن كما علمت — ان اكتب على كل
فاحيه من نواحيه واشرح العوامل التي هيأت عظمته . وانا بعد
اشد اهتماماً بناحيته الادبية ، وعنايتي بغيرها انما هي على سبيل
الاحاطة بالعناصر التي كونت ادبه ، واحتفالي بنثره اكثر من
احتفالي بشعره لانه امام في الكتابة وصاحب طريقة في الانشاء
حوت الكتابة العربية الى وجهة غير وجهتها الاولى وكانت
اطول طرائق الكتاب عمرا وان لم تكن احدها اثرا .



عصر ابن العميد

عاش ابن العميد في القرن الرابع وهو القرن الذي ظهر فيه
وِهن الخلافة العباسية جليا وطوي علم وحدة المملكة الاسلامية
وانتقصت من اطرافها بالانتفاض والسلخ والاستقلال والنغلب .
لم يكن للمسلمين وحدة سياسية إلا في دولة بني امية فقد
كان الخليفة نافذ الامر في جميع الاقطار التي فتحها المسلمون .
قلما قامت الدولة العباسية انسلخت عنها الاندلس فكان ذلك اول
صدع في الوحدة الاسلامية وتلا ذلك ظهور الادارسة بالمغرب
الاقصى في منتصف القرن الثاني .

وفي القرن الثالث ظهرت دولة العلويين بطبرستان
والسامانيين في خراسان وتركستان والفاطميين في المغرب وبني
طولون في مصر .

وفي القرن الرابع استقلت الدولة الحمدانية بالنشام والدولة
الغزنوية في الافغان والهند والدولة الزيارية بطبرستان والدولة
الاخشيدية بمصر وظهر بنوبويه في بلاد الديلم فملكوا بلاد فرس
وحققوا على بغداد وجعلوه تحت نفوذهم فلم يبق للخليفة على اكثر

هذه الدول غير الاسم والرسم .

انشئت تلك الاقطار عن وجبة الخلافة السياسية وقام فيها
امراء منهم عرب ومنهم غير عرب ولكن دين الجميع كان الاسلام
ولغة الدولة كانت العربية . فاصبحت كل عاصمة تنافس الاخرى
في اظهار معالم العمران ، واضحى كل قصر فيها ببذل ما بوسعه
ليحاكي قصر الخلافة في بغداد فراجت سوق العلم والادب ولقي
الشعراء في هاتيك القصور ظلا ظليلا وعيشا رغدا ونبع من
فحولهم امثال المتنبي وابي فراس الحمداني وابن هانيء الاندلسي
وبلغ من احتفال الامراء بالشعراء ان صاحب ابن عباد دعه
المتنبي لزيارته واشترط على نفسه ان يشاطره كل ما يملك فلم يرد
عليه المتنبي ذهابا بنفسه .

وكذلك فقد نبغ في ذلك القرن جمهرة سالحة من الكتاب
امثال ابن العميد والصاحب ابن عباد وبديع الزمان الحمذاني
وابي بكر الخوارزمي ومن اعلام الادب واللغة امثال ابي الفرج
الاصفهاني صاحب كتاب الاغاني وابي هلال العسكري صاحب
كتب الصناعتين وابي علي القالي صاحب كتاب الامالي
والازهري صاحب التهذيب وابن فارس صاحب المجمل والجوهري

صاحب الصبحاح وغيرهم .

وهكذا فقد كان مظهر القرن الرابع خبو جمره العرب
نياسيا ونضوج ادبهم وسيادته على جميع الشعوب التي دانت
بالاسلام . فما خسروه في ميدان السياسة عوضوه في ميدان العلم
والادب . ولقد اشترك في اقامة بديان هذا الادب جميع الشعوب
التي دانت بالاسلام وكان من امضاهم هممة واطولهم ياعا في هذا
العمل الشعب الفارسي الذي ينتمي اليه ابن العميد . والدولة
البويهية التي كان ابن العميد اكبر وزرائها كان لها يد يصباء
على الادب العربي وهي دولة فارسية بل مظهر من مظاهر النهضة
الفارسية في القرن الرابع . فمن ذلك الشعب العريق بالعلم
والمدينة وفي تلك الدولة الفتية بزغ نجم ابن العميد في سماء
الادب العربي .

واذا ان ابن العميد احد اعلام النهضة الفارسية وكبير وزراء
الدولة البويهية وجب ان يلحق الى تلك النهضة ويعرف بهاتيك
الدولة .



النهضة الفارسية

شارك الفرس العرب في الحكم منذ قيام الدولة العباسية وظلوا يحكمون باسم العرب وتحت سلطتهم كعمال الى ان وقعت الفتنة بين محمد الامين وبين اخيه عبد الله المأمون ولدي الرشيد وظهر المأمون بمعونة الفرس على الامين وكان ذو اليمينين طاهر ابن الحسين احد قواد المأمون الذين ابلوا البلاء الحسن فكافأه المأمون بان جعله اميراً على خراسان وبقيت الامارة في اعقابه الى ان خلفهم الصفارية فالسامانية .

وفي ايام المأمون نظمت اول قصيدة فارسية بعد الاسلام وذلك ان المأمون زار مدينة مرو فقام بين يديه شاعر فارسي اسمه عباس المروزي ومدحه بقصيدة فارسية .

على ان الحركة الانفصالية ظهرت في القرن الثالث وازدادت قوة في القرن الرابع فكانت بلاد فارس تجرد في التخلص من سلطة الخلافة العباسية ثم امتد نفوذها السياسي الى العراق ايضا وقد قام بها اذ ذاك دول لها كيان مستقل كالدولة السامانية في خراسان تركستان والزيارية في طبرستان والبويهية في فارس والعراق

وغيرهما والغزنوية في افغانستان والهند واستمر الروح القومي في
الانتعاش كما ان اللغة الفارسية استعادت حياتها واخذ الادب
الفارسي ينمو ويتقدم .

ولعل اشد الامراء تعصبا للفرس مرداويج بن زيار مؤسس
الدولة الزيارية في طبرستان فقد ورد في تجارب الامم : انه كان في
نفسه ان يملك بغداد ويعقد التاج على رأسه ويعيد ملك الفرس
فجوجل بالقتل وانه صاغ تاجاً عظيماً ورضعه بالجواهر وكان يجلس
على سرير ذهب قد جعل عليه منصة عظيمة ونفرد بالجلوس عليه
وجعل دونه سرير فضة وعليه فرش مبسوط ودون ذلك كرامتي
كبار مذهب لاصحاب المراتب وكانت كتبه ترد على ابن وهبان
ان يعد له ايوان كسرى منزلاً اذا تقدمه الي الحضرة ويعمره
ويعيده كهيته قبل الاسلام .

وكان مرداويج يحتفل باعياد الفرس احتفالاً عظيماً ، من
ذلك احتفاله باحدى ليالي الوقود التي تعرف بالسدق ، فقد روى
عنه انه امر يجمع النفط والنفطيين والزراقات ومن يحسن معالجتهم
واللعب بها وتقدم باعداد الشموع العظام ولم يبق جبل مشرف
على اصبهان ولا تل ظاهر الا عييت عليه الاحطاب والشوك

كهيئة قصور عظيمة وضربت بالحديد وجمع ما يزيد على ألفي طائر من الغربان والحدأ وعلق بمناقيرها وارجلها الجوز المحشو مشاقة ونقطاً وعمل بمجلسه الخاص تماثيل من الشمع واساطين عظام منه لم ير مثلاً لها ليكون الوقود في ساعة واحدة على الجبال وروءوس اليفاعات وفي الصحراء وفي المجالس على الطيور التي تطلق ثم عمل له سماط عظيم في الصحراء وجمع فيه من الحيوانات والخيل والبقر والغنم الوف كثيرة وزين واحتشد بما لم تجر العادة بمثله .

ومن الغرائب ان الامراء العباسيين انفسهم كانت تضيق بهم بغداد فيلجئون لخدمة هذه الدول الفارسية كأبي محمد عبد الله بن عثمان الواثق من اولاد الواثق بالله امير المؤمنين قال .
 « ومن خبره انه كان نزع باهله الى الحضرة ببخارى راجياً ان يحل بها محل اقرانه من اولاد الخلفاء وامثاله او يقلد من احد عمل البريد والمظالم ببعض الكور ما يصلح من حاله » وكذلك وزراءهم كأبي جعفر محمد بن العباس بن الحسن وزير المكتفي .
 والمقندر قال الثعالبي : « رمت به حوادث الدهر الى بخارى فأكرم مشواه كعادة الملوك السامانية في معرفة حقوق الناس وابناء النعمة واغذياء الرياسة لاسيما الجامعين الي كرم النسب شرف الادب »

وفي ظل تلك الدول ظهر ادباء الفارسية في الشعر والنثر مثل
الرودكي المعدود اول شعراء الفرس في الدولة السامانية والمتوفى
سنة (٣٠٤) والدقيقي الشاعر الفارسي الكبير الذي بدأ بنظم
الشاهنامة (الباذة الفرس) ثم اتى الفردوسي والبلعمي الذي ترجم
لمنصور الساماني تاريخ الطبري الى الفارسية.

ثم نتابع على اثر اولئك شعراء كثيرون منهم من نظم
بالفارسية ومنهم من نظم بالعربية ومنهم من نظم باللغتين كقالبوس.
ابن وشمكير وابي حسن شهيد البلخي وابي بكر محمد بن علي.
الحسروي السرخسي وابي عبد الله محمد الجنيدي . وقد جرت
العادة اذ ذاك ان يترجم الشعراء بترجمة الشعر من الفارسية الى
العربية ومن العربية الى الفارسية كما جرى لبديع الزمان الهمذاني.
بمحضره صاحب ابن عباد في اول زيارة له .

واقبل بعض الادباء على ترجمة الشعر الفارسي الى العربية.
كالبنديري الذي اختصر الشاهنامة ونقلها الى العربية وكابي
الفضل احمد السكري المروزي الذي كان مولعاً بنقل الامثال
الفارسية الى العربية وله مزدوجة ترجم فيها امثالا للفرس.
ذكر بعضها الثعالبي في الجزء الرابع من يتيمة الدهر اوله :

من رام طمس الشمس جهلا خطا الشمس بالتطمين لا تغل
وله غير هذه المزدوجة امثال ايضا تجدها في يتيمة الدهر (ج
٤ ص ٢٣)

ومثل المروزي ابو عبدالله الضرير الانبوري له قصيدة
ترجم فيها امثال الفرس اولها :

صيامي اذا افطرت بالسحت ضلة وعلي اذا لم يجد ضرب من الجهل
تجد بعضها في يتيمة الدهر (ج ٤ ص ٢٥) وهناك قصيدة في
الامثال ذكر بعضها الثعالي في اليتيمة (ج ٤ ص ٢٤) وذهب
عنه اسم صاحبها .

ولقد بدأ الطابع الفارسي يظهر على الشعر العربي في اللفظ
والمعنى قال ابو علي الساجي بمدينة مرو :

بلد طيب وماء معين وثرى طيبه يفوق العيرا
واذا المرء قدر السير عنه فهو ينهائ باسمه ان يسيرا
قال الاستاذ براون في تاريخ آداب اللغة الفارسية يريد
الشاعر بقوله « فهو ينهائ باسمه ان يسيرا » يقول له مرو ومعنى مرو
بالفارسية لا تذهب . وهناك ابيات يظهر فيها الاسلوب والخيال
الفارسيان كقول ابي العلاء السروي في النرجس :

حي الربيع فقد حيا بيا كور من نرجس بيها الحسن مذكور -
 كأنما جفنه بالغنج مفتحا كأس من التبر في منديل كافور
 وقوله في التفاح :

وتفاحة قد همت وجدأ بظرفها فاشعر ذي حذق يحيط بوصفها
 أشبه بالمعشوق حمرة نصفها وبالعشق المهجور صفرة نصفها (١)
 ومهما يكن من شأن هذه النهضة فإن اللغة العربية كانت
 المسيطرة عليها منذ فجرها إلى العصر الذي عاش فيه ابن العميد
 وما بعده فقد كانت لغة العلم والأدب والحكومة والطبقة العالية في
 فارس وقد اخلاص الفرس لها وبلغ من اخلاص امرائهم لها
 والاسلام ما ذكره الاستاذ براون في تاريخ آداب الفرس وهو ان
 رجلا قدم على عبدالله بن طاهر في نيسبور وقدم اليه كتابا
 فارسيا فلما سأله عنه قال : هو قصة وامق وغذراء وضعها حكاه
 الفرس وقدمت الى كسرى انوشروان فجاهه الامير : نحن قوم نتلو
 القرآن ولا حاجة بنا مثل هذا الكتاب يكفيننا كتاب الله وسنة
 رسوله وكتابك هذا من وضع المجوس لذلك فهو بغض في
 اعيننا ثم امر بالكتاب فاتي في الماء كما انه امر بتلاف جميع

كتب المجوس في امارته .

ولقد كان الفارسي يمدح باجاده العربية قال المتنبي يمدح
ابن العميد :

عربي لسانه فلسفي رأيه فارسية اعياده

وقال ابوسعيد الرستمي :

اذا نسبوني كنت من آل رستم ولكن شعري من لؤي بن غالب
وقال الزمخشري في خطبة كتابه المفصل : « الله احمد على
ان جعلني من علماء العربية ، وجباني على الغضب للعرب والعصية ،
وأبى لي ان انفرد عن صميم انصارهم وامتاز ، وانضوي الى افيئف
الشعوية وانحاز ، وعصمني من مذهبهم الذي لم يجد عليهم الا
الرشق بالسنة اللاعنين ، والمشق بالسنة الطاعنين »

ولذلك ازدهرت العربية في بلاد فارس ونبع فيها من العلماء
والادباء والشعراء والكتاب من هم ائمة في تاريخ ادبنا كابن
العميد واضرا به .



الدولة البويهية

(٣٢٠ - ٤٤٧)

في الجنوب الغربي من شاطئ بحر الخزر تقع بلاد الديلم التي ظهر منها ببويه واهل تلك البلاد ليسوا من العنصر الفارسي بل عنصر ممتاز يطلق عليه اسم الديلمة ولكن بني بويه اسرة فرسية تنسب الى بهرام جور الملك الساساني وانما سموا بالديلم لانهم سكنوا بلاد الديلم .

اسس بنو بويه دولة ملكت العراق والاهواز وفارس وقام بتأسيسهم الاخوة الثلاثة ابو الحسن علي (عم الدولة) وهو الاكبر ، وابوعبي الحسن (ركن الدولة) وهو اوسط ، واحمد (معز الدولة) الاصغر ابنه ابي شجاع ببويه بن فند خسرو .

وكان الاقدار شاءت ان تجعل صلة بين آل ببويه وآل العميد منذ اول امرهم ، وذلك ان عليا والحسن اقبلا حوالي سنة ٣٢٠ مع بعض القواد على مرداويج بن زيرموء سس الدولة الزيرية في طبرستان فخنع مرداويج عليا والحسن وولى القواد الذين وصلوا معها نواحي ووف عيب بلاد الكرج

وكتب لهم بذلك اليهود فساروا الى الري وبها وشمكير اخو مرداويج ومعه وزير مرداويج الحسين بن محمد الملقب بالعميد (والد ابن العميد) واتفق ان كان مع علي بن بويه بغلة شهباء من احسن ما يكون فعرضها للبيع فبلغ ثمنها مأتي دينار فعرضت على العميد فاخذها ونقد ثمنها فلما حمل الى علي اخذ منه عشرة دنانير ورد الباقي ومعه هدية جميلة فكان ذلك بدء الصلة بين آل العميد وآل بويه .

ثم بدا لمرداويج فندم بعد انفصال هو، لاء القواد على توليتهم فكتب الى اخيه وشمكير والى العميد يأمرهما بمنعهم عن المسير الى اعمالهم وكانت الكتب تصل الى العميد قبل وشمكير فانفذ الى علي بن بويه يأمره بالمسير من ساعته الى عمله . ولما اصبغ العميد عرض الكتاب على وشمكير فمنع سائر القواد من الخروج واراد ان يستدعي علي بن بويه فقال العميد انه لا يرجع طوعاً ورجماً فأنزل من يقصده وخرج من طاعتنا فتركه . عظم امر هو، لاء الاخوة الثلاثة العصاميين فلكوا اكثر بلاد افرس ووجهوا اصغرهم احمد الى الاستيلاء على بغداد فدخلها سنة ٣٣٠ والخليفة يومئذ المستكفي بالله فقابله الخليفة واحتفى به

ولقبه معز الدولة كما لقب اخويه عليا بعماد الدولة، والحسن بر كن الدولة - وهذا الذي استوزر ابن العميد - . واستقر الامر بين هؤلاء الاخوة على ان يكون عماد الدولة صاحب بلاد فارس والاهواز، وركن الدولة صاحب بلاد الري والجل، ويكون معز الدولة بالعراق . ومنذ ذلك الحين سقط سلطان الخلفاء العبّاسيين وصاروا تحت سيطرة بني بويه ليس لهم الا الاسم .

وقد كان بنو بويه شيعة زيدية غلبة فبدأ المعز الدولة بعد ان دخل بغداد ان ينقل الخلافة من بني العبّاس الى احد العلويين ولكن بعض خواصه اشار عليه الا يفعل وقال له انك اليوم مع خليفة تعتقد انت واصحابك انه ليس من اهل الخلافة ولو امرتهم بقتله اقتلوه مستحلين دمه . ومتى اجاست بعض العلويين خليفة كان معك من تعتقد انت واصحابك صحة خلافته فلو امرهم بقتلك افعلوا فاعرض عما كان قد عزم عليه .

وابني بويه اياهم يرضاء على العلم والادب فقد كانوا يجلبون اهل الفضل ولا يعتمدون في اعمهم الا عليهم ووزراءهم من اعيان الادباء كابن العميد وابنه ابي الفتح من بعده والصاحب ابن عباد وابي محمد الحسن المهدي وسبور بن اردشير الذي انشأ

في كرخ بغداد خزانة كتب وقفها على افادة الناس لم يكن في الدنيا احسن منها كما قال ياقوت .

واشتهر من بني بويه انفسهم غير واحد بالادب والشعر كعضد الدولة ابن ركن الدولة تلميذ ابن العميد وهو الذي استقدم المتنبي واحتفي به واسنى له الجوائز وقرب اليه العلماء والادباء وقد الف له ابو اسحق الصابي كتابا في اخبار آل بويه سماه التاجي والف له ابو علي الفارسي كتاب الايضاح والتكملة في النحو .

وكان عز الدولة ابن معز الدولة شاعرا وكذلك تاج الدولة ابن عضد الدولة آدب آل بويه واشعرهم واکرمهم وكذلك ابو العباس خسرو بن فيروز بن ركن الدولة وتجد امثلة من اشعارهم في اول الجزء الثاني من يتيمة الدهر للثعالبي .

وانقرض ملك بني بويه على يد دلغربك السلجوقي

سنة ٤٤٧ .



أسرة ابن العميد

آل العميد أسرة فارسية من مدينته (قم) رأسها ابو عبدالله الحسين بن محمد الملقب بالعميد . وهي من الامر "تي" كان لها المحل الرفيع في العلم والادب والسياسة والوجاهة . منذ اوائل القرن الرابع . فلقد تسلسلت الوزارة والكتابة فيهم اكثر من نصف قرن كانوا فيه مسموعي الكلمة نافذي الرأي يدهم الحل والعقد في شئون ثلاث دول من الدول الفارسية فهم من اركان نهضة الفرس واستقلالهم ورافعي لواء الادب العربي فيها .

كان ابو عبد الله العميد (والد ابن العميد) وزيرا في الدولة الزيارية بطبرستان ثم كتب لما كان بن كاكي احد الامراء المستقلين بمرجان ثم صار وزيرا في الدولة السامانية بخراسان وما زال بها حتى مات كما ستري ذلك مفصلا في ترجمته .
وبينا كان ابو عبدالله العميد وزيرا في الدولة السامانية اذا بابنه (ابن العميد) يزرار كن الدولة ابن بويه سنة ٣٢٨ ففاق اباه في السياسة والتدبير والعلم والادب والكتابة وسمو المكانة وظل في عمله حتى مات سنة ٣٦٠ وخلفه ابنه ابو الفتح

وكان ادبياً فاضلاً ولكن نزق الشباب وتهي الفتوة اوردها حتفه
فغضب عليه عضد الدولة ابن ركن الدولة وامر بقتله سنة ٣٦٦
ولم تشفع له خدمات والده لبني بويه وهكذا فان « الملك عقيم »
وبه انقض بنو العميد الذين اعادوا سيرة بني برمك بادبهم
وكرمهم قال بعض الشعراء يرثيهم :

آل العميد وآل برمك مالكم قل المعين لكم وذل الناصر
كان الزمان يحبكم فبدا له ان الزمان هو المحب الغادر
وستطلع على احوال كل منهم بالتفصيل فيما يأتي .



العميد

« والد ابن العميد »

ابو عبدالله الحسين بن محمد المعروف بكه والملقب بالعميد
على عادة اهل خراسان في اجرائه مجرى النعظيم . اصله من مدينة
(قم) كان فاضلاً ادبياً مترسلاً قال الثعالي : « هو في الرتبة
الكبرى من الكتابة ورسائله مدونة بخراسان وذكر ابو اسحق

«لصابي في الكتاب التاجي ان رسائل ابي عبد الله لا تقتصر في
البلاغة عن رسائل ابنه ابي الفضل - ابن العميد - وعندي ان
هذا الحكم من ابي اسحق فيه حيف شديد على ابن العميد والقاص
للايحب القاص»

اما نشأته فلا نعلم عنها الا ما ذكره ياقوت في معجم الادباء
يترجمة الصاحب ابن عباد نقلا عن ابي حيان التوحيدي في
مثالب الوزيرين ابن العميد والصاحب ابن عباد وذلك قوله :
« ان قلت كان الامين - والد الصاحب - معلما بقرية من قري
طالقان الديلم قيل كان والد العميد نخالا في سوق الخنطة بقم »
وكان من امر العميد انه وزر لمرداويج بن زيار مؤسس
الدولة الزيارية بطبرستان سنة ٣١٦ وفي وزارته هذه كانت
الصلة بينه وبين آل بويه اذ اعانهم على تحقيق احلامهم في الملك
كما مر مفك في الكلام على الدولة البويهية .

وظل العميد مع مرداويج حتى قتل سنة ٣٢٣ وكان اذ
ذلك قائد من عظماء الديلم اسمه ماكان بن كاكي مستقرا بكرمان
من قبل صاحب خراسان نصير بن احمد الساماني فلما بلغه الخبر
الاستعفى من ولاية كرمان وسأل صاحب خراسان ولاية جرجان

فوليا وهناك اتصل العميد بما كان وكتب له ثم آل الامر الى ان خلع ما كان طاعة صاحب خراسان واسقط خطبته فووقت بينهما حرب انتهى امرها بقتل ما كان بن كاكي واخذ رأسه الى خراسان مع الاسارى ورووس القتلى وكان ذلك سنة ٣٢٩ وكان العميد في جملة الاسرى فشفع به فضله وادبه اذان ملوك الدولة السامانية معروفون باصفائهم لاهل العلم والادب فاطلق عنه واكرم ورتب في الدارالساطانية ثم تقلد ديوان الرسائل للملك نوح بن نصر ولقب بالشيخ كالعادة فيمن يلي ذلك الديوان فحسده ابو جعفر محمد بن العباس بن الحسين الوزير فقال فيه :

تظلم ديوان الرسائل من كله الى الملك القرم الهمام وحوله .
وكان اذ ذلك ابو القاسم علي بن محمد النيسابوري الاسكافي يكتب في ديوانه ويرى نفسه احق منه برتبته وله فيه ابياب .
منها :

وقائل ماذا الذي من كلة تطلبه .

قلت له اطلب ان يقلب منه لقيه .

وقلب (كله) الذي هو لقيه هلك .

وله فيه :

هذا الذي يدعى كله ماشأنه الا البله
في رأسه عمامة مكفوفة مزمله
كانها في لونها قدر على سفرجله
وابعض النجان ابيات يتنادر فيها على العميد بان الاسم في
الديوان له والعمل لابي القاسم :

تبظرم الشيخ كله ولست ارضى ذاك له
كأنه لم ير من اقعده عنه ببدله
والله ان دام على هذا الجنون والبله
فانه اول من ينتف منه السبله
وكان العميد مصابا بالنقرس في قدمه فكان يحضر الديوان
في محفة فقال فيه ابو القاسم :

ياذا الذي ركب المحفة عة جامعا فيها جهازه
اترى الآله يعيشني حتى يرينها جنازه
ولكن هذه الحملة الشديدة لم تزد العميد الا تمكيننا عند
صاحب خراسان فانه استوزره وابقى الديوان برسمه وفي ذلك
يقول ابو القاسم ايضا :

اقول وقد سرنا وراء محفة وفيها ابو عبد الآله كسيرا
شقاؤك من شكواك ثم شقاؤنا من أيام سوء قدمتك وزيرا
ترقيك من هذي المحفة حية الى النعش محمولا تصرصريرا
وبقي العميد في الوزارة الى ان مات في ايام الملك نوح بن
صر الساماني ولم اظفر بشيء من رسائله .

اولية ابن العميد

ليس هناك نص على تاريخ ميلاد ابي الفضل محمد بن العميد ولكن
يغلب على الظن انه ولد اما في آخر سنة من القرن الثالث او اول سنة
من القرن الرابع لانه توفي سنة ٣٦٠ وكان عمره اذ ذاك يزيد على
ستين سنة يسيرا . كما انه ليس هناك نص على اسماء شيوخه الذين
اخذ عنهم العلم والفلسفة والادب وماهي الكتب التي قرأها
عليهم حتى بلغ ذلك المبلغ في الفضل . وكل ما يتيح لي ان اطلع
عليه في هذا الباب هو ما ذكره ابن النديم في كتاب الفهرست
من ان محمد بن علي بن سعيد المعروف بسمكة مؤلف كتاب
خبار العباسيين كان معلما لابن العميد .

ان ابن العميد اعطى من مواهب الحفظ والذكاء ما اتاح له التفوق على اقرانه قال ابو علي احمد بن محمد المعروف بمسكويه في كتاب تجارب الامم : (حدثني « ابن العميد » غير مرة انه كان في حادثه يخاطر رفقاءه والادباء الذين يعاشرهم على حفظ الف بيت في يوم واحد و كان رحمه الله اثقل وزنا واكثر قدرا من ان يتزيد . فقلت له كيف يتأتى لك ذلك ؟ فقال كانت لي شريطة وهي ان يقترح علي من شعر لم اسمع به الف بيت في يوم واحد يكتب واحفظ منه عشرين عشرين وثلاثين ثلاثين اعيدها و ابرأ من عهدها . فقلت وما معني البراءة من عهده ؟ قال لا اكلف اعادتها بعد ذلك قال فكنت انشدها مرة او مرتين واسلمها ثم اشتغل بغيرها حتى افرغ من الجميع في اليوم الواحد)

اما العلوم التي درسها وبرع فيها فكثيرة منها الهندسة والمنطق وعلوم الفلسفة والالهيات والطبيعة والتصوير . اما الادب فقد كان علما فيه واسع الرواية لاشعار العرب واخبارهم كما كان اماما في الكتابة وله شعر حسن ولكنه كان يرمي بالتقصير في علوم الدين . وسأفرد لعلمه وادبه وكتابه وشعره فصولا خاصة من هذه الرسالة .

اتصاله ببني بويه

لابي عبد الله الحسين بن محمد العميد - والد ابن العميد - فضل على بني بويه اذ انه كان من اعظم الاسباب في فسخ المجل لطموحهم وتأسيس دولتهم لما سهل السبل لعاد الدولة للذهاب الى الكرج واليا عليها من قبل مرداويج بن زيار بعد ان امر مرداويج بمنعه من الذهاب كما ذكر ذلك في فصل الدولة السويبية .

ولئن فات بني بويه ان يكافئوا العميد على حسن صنيعه فانهم لم ينسوا له هذه اليد عندهم فكافأوا عايلها ولده ابا الفضل ابن العميد اذ ولاء ركن الدولة صاحب بلاد الري والجل وزارته واطلق يده في امور المملكة .

لا نعلم ما هي الاعمال التي واپها قبل الوزارة ولكن انشعابي يشير اليها بقوله : « ولم يزل ابو الفضل في حبة ابيه وبعد وفاته يتدرح الى المعالي ويزداد على الايام فضلا وبراعة حتى باغ ما باغ واستقر في الذروة العليا من وزارة ركن الدولة ورياسة الجبل وخدمه الكبراء وانتجعه الشعراء »

تولى ابن العميد وزارة ركن الدولة عقيب موت وزيره ابي

على القمي (١) سنة ثمانين وعشرين وثلاثمائة ، وكان عمره دون الثلاثين وكان ابوه العميد لا يزال حياً ولذلك خبر طريف رواه صاحب التكملة عن ابن الصايي قال : « قيل ان مما نفق به ابن العميد على ركن الدولة ان ركن الدولة اراد ان يحدث بناء بالري واختار له موضعاً وكانت فيه شجرة ذات استدارة عظيمة وعروق تنازلة متشعبة فقدر لقلعها واخراج عروقها جملة كثيرة ولم يقع في نفسه انها تستأصل استئصالاً قاطعاً . فقال ابن العميد انا اكفي الامير هذه الكلفة واقطع هذه الشجرة بعروقها بأهون شيء وفي اقرب امد واقل عدد فاستبعد ذلك ركن الدولة وقال من طريق الازدراء افعل فاستدعي حبالا واوتادا وسلك هذا المسلك المعروف في جر الثقل فلما رتب مارتبه ونصب ما نصبه اقام نفراً قليلا حتى مدوا ومنع ان يقف احد على جربان كثيرة من الشجرة بحسب ماقدرة من وشوج اصولها ووشوج عروقها ووقف ركن الدولة في موكبه ينظر فراعهم الا تزعزع الارض وانفتاحها وانقلاب قطعة كبيرة منها وسقوط الشجرة منسلة بجميع عروقها فعجب ركن الدولة من ذلك واستظرفه واستعظمه ونظر الى ابي الفضل بعين الجلالة »

(١) كذا في ابن خلكان وفي ابن الاثير ابو عبد الله القمي .

وفاته

لم يعمر ابن العميد طويلا فانه لما مات كان عمره ستين سنة .
او تزيد قليلا قضى اكثرها في وزارة ركن الدولة ابن بويه لانه
تولاها سنة ٣٢٨ ومات وهو وزير سنة ٣٦٠ .

لم يكن ابن العميد موقفا في صحته فقد كان مصابا بالنقرس .
كما كان ابوه العميد مصابا به ، وكان مصابا بالقولنج ايضا قال
ابن خلكان : كان ابن العميد يعتاده القولنج تارة والنقرس .
اخرى تسلمه هذه الى هذه وقال لسائل سألها ايها اصعب عليك
واشق قال اذا عارضني النقرس فكأنني بين فكي سبع يمضغني واذا
اعتراني القولنج وددت لو استبدلت النقرس عنه ويقال انه رأى
اكارا في بستان يأكل خبزا يبصل ولبن وقد امغن منه فقال
وددت لو كنت كهذا الاكارا آكل ما شتحي .

وكان من خبر وفاته ان حسنويه بن الحسن الكردي ثار
على ركن الدولة في نواحي الدينور فتقدم ركن الدولة الى ابن العميد .
باستئصال شأفته فخرج اليه ومعه ابنه ابو الفتح فلما وصل الى همدان .
اشتدت علته وتوفي به ليلة الخميس السادس من صفر سنة ستين وثلاثمائة .

كتبه

الف ابن العيمد كتبها ضاعت كلها او انها لا تزال مكنونة
لانا لانعلم مكان وجودها والاي بقي من آثاره قطع في النثر
والشعر مبثوثة في كتب التراجم والادب على سبيل الاستشهاد .
اما اسماء كتبه فهي

١ - كتاب ديوان رسائله : ذكره صاحب كتاب
الفهرست . ولا بد من ان يكون اجل آثاره لان الرجل مشهور
برسائله وله طريقة خاصة في الانشاء سيأتي الكلام عليها . واقد
نوه ابو علي مسكويه برسائله السياسية ورفعة شأنها قال :
« فاما (١) اضطلاع به بتدبير الممالك وعمارة البلاد واستغزار
الاموال فقد دات عليه رسائله ولا سيما رسالته الى ابي محمد ابن
هندو التي يخبر فيها باضطراب امر فارس وسوء سياسة من تقدمه
لها وما يجب ان يتلافى به حتى تعود الى احسن احوالها فان هذه
رسالة يتعلم منها صناعة الوزراء وكيف تتلأى الممالك بعد تناهي
فسادها »

٢ - كتاب المذهب في البلاغات ذكره صاحب الفهرست
ولم يبين من امره شيئاً .

٣ - كتاب الخلق والخلق ذكره صاحب معاهد التنصيص
وقال : لم يبيضه ولم يكن الكتاب بذلك ولكن جعس الرؤساء
خيس وصنان الاغنياء ند .

٤ - ديوان في اللغة : ورد ذكر هذا الكتاب في خزنة
الادب للبغدادى عرضا في ترجمة المتنبي وخبرزيارته لابن العميد
قل : « وكان ابو الفضل - ابن العميد - يقرأ عليه يعني
«المتنبي» ديوان اللغة الذي جمعه ويتعجب من حفظه وغزارة
علمه

ابن العميد وزيرا

قضى ابن العميد الشطر الاعظم من عمره في الوزارة فقد
تقلدها سنة ٣٢٨ وهو دون الثلاثين ومات عنها سنة ٣٦٠ وقد

اربى على الستين (١) واخباره قبل الوزارة فيها كثير من الغموض وما نقل من سيرته وجلال اعماله انما كان بعد ان استوزره ركن الدولة .

عهد الى ابن العميد بالوزارة ودولة بني بويه في دور نشوئها محتاج الى حزم وعزيمة في الفتوح وقوة وبطش في قمع الفتن والنواثر ورفق وكياسة في الترغيب وشدة وغنف في الترهيب مع نفوذ بصر في تصريف الامور وحدة ذكاء في اهتبال الفرص الى اضطلاع ودهاء في السياسة وطول باع في تدبير هذه الشؤون كلها وتصريفها فقام ابن العميد بما عهد اليه احسن قيام بل كانت سيرته في الوزارة مثالا يحتذيه الوزراء من بعده .

ويؤخذ مما ذكره صاحب تجارب الامم ان امور ركن الدولة كانت مضطربة فلما استوزر ابن العميد قرت الحال واطردت الامور بحسن تدبيره وبعد نظره وشجاعته واقدامه .

(١) لا عبرة بما قاله ابن الاثير وابن خلدون من ان وزارته كانت اربعا وعشرين سنة لان ابن الاثير نفسه ذكر في حوادث سنة ٣٢٨ ان ركن الدولة استوزر ابن العميد فيها وقد علمت ان ونااته كانت سنة ٣٦٠ فتكون مدة وزارته اثنتين وثلاثين سنة ولم يذكر انه فصل عن الوزارة منذ تولاها حتى مات

لم يكن ابن العميد من الوزراء الذين يأمرون وينهون وهم
متربعون في دست وزارتهم بل كان مع علو مكانته في السياسة
والتدبير يباشر الحروب ويقود الجنود بنفسه بشجاعة وبأس قال
مسكويه : « فاذا حضر المعرك وباشر الحروب فانما هو اسد في
الشجاعة لا يصطلى بناره ولا يدخل في غباره ولا يناويه قرن ولا
يارزه بطل مع ثبات جأش وحضور رأي وعلم بمواضع الفرص
وبصر بسياسة العسكر والجيوش ومعرفة بمكايد الحروب »

ووقائعه كثيرة تدل على رباطة جأش واقدام كوقعة ابن ما كان
وخبر ذلك : انه هجم ابن ما كان سنة ٢٤٤ على اصبهان واستولى عليها
فاضطر ابو منصور بويه ابن ركن الدولة وعيال ركن الدولة وجميع
اصحابه ان يخرجوا على وجوههم الى خان النجان . وكان ابن العميد
بأرجان فبادر مع قطعة من العرب ونفر يسير من الديلم فوجد ابن
ما كان قد تبع ابا منصور وقد اشرف هو والحرم على الفضيحة والامر
قال صاحب تجارب الامم كان ابن العميد رحمه الله يحـثني بخبر
هذه الواقعة مرات فيقول : لما التقينا بالخان انهزم عني اصحابي
واشتغل اصحاب ابن ما كان بالنهب والغارة وثبت انفة فقط من

غير رجاء مني في ظفر بل وقفت وقوف المستسلم القفل والاسر
وذلك اني فكرت في تلك الحالة وقلت ان انصرفت بنفسي سالما
ومثلت بين يدي صاحبي اي وجه يكون لي عنده واي لسان
يدور بعذري بحضرته بعد ان اسلمت اعزته واولاده وحرمه
وبالجملة ملكه ونظرت فاذا القتل علي في حالي تلك اهون من
هذه الحال التي تصورتها فصرت لان اقتل كرما قال فكنت
واقفا وراء خيمة لي بعمودين وانا ارى اطنايها تقطع وما فيها يخرج
ومن يراني لا يظن اني اثبت في ذلك الموضع مع تلك الصورة .
فبينما انا كذلك واصحاب ابن ما كان مشغولون عني بالنهب اذ ثاب
الي غلامي روين وفلان وفلان وراءهم العرب فثاب منهم جماعة
يسيرة فحملت بهم وصاح الناس الكرة فقتلنا واسرنا ولم يفلت
احد ولما كان بعد ساعة من النهار لم يبق من جيش ابن ما كان
عين تطرف الامن اخذ اسيرا وحمل الي ابن ما كان وبه ضربة في
يده وقد تعلق منها اصبعان بجلدة رقيقة فمها حتى قطعها قال فهو
علي ذلك بين يدي حتى شق الزحمة اليه مكار اوركا بي فصفعه
صفعة طن بها الموضع وغاص فلحقني غيظ عظيم وامرت بطلبه
وهممت بالمثلته به وقطع يده فما وقف له علي اشرولا عرف له خبر الي اليوم .

و كثورة الجنود الخراسانية في الري (١) وغيرها وقد ذكر صاحب تجارب الامم كثيرا من وقائعه وبلائه الحسن فيها ولا محل لاستقصائها هنا . ويكفي انه توفي بهمدان وهو يقود حملة يجارب بها حسوية الكردي احد من خرجوا على ركن الدولة . وقد تخرج على ابن العميد في السياسة والادب عضد الدولة لابن ركن الدولة اعظم ملوك بني بويه واوسعهم سلطانا وكان لا يدعوه الا بالاستاذ الرئيس كما تخرج عليه ابنه ابو الفتح والصاحب ابن عباد .

ابن العميد عالماً

لم تشغل ابن العميد شغشة الفصاحة وخلاصة الالفاظ عن النظر بالعلوم والتعمق فيها ولا سيما العقلية منها ولعل اعجابه بالجاحظ وتعصبه له وقوله فيه « كتب الجاحظ تعلم العقل اولا والادب ثانيا » من جهة علم الجاحظ وتفكيره لامن جهة اسلوبه في الانشاء لان ابن العميد خالف الجاحظ في اسلوبه وشرع

لنفسه طريقة عرف بها سيأتي الكلام عليها في موضعه .

العلوم التي برع بها ابن العميد والتي نص مترجموه على
تبحره فيها هي علوم العربية والادب والهندسة والنجوم والمنطق
وعلوم الفلسفة والالهيات والطبيعة والتصوير ولقد مر بك ان
من جملة الاسباب التي نفق بها على ركن الدولة معرفته بعلم
الحيل .

وقد كانت له عناية تامة بكتب اليونان وترجمتها قال صاحب
كتاب الفهرست : « الذي رأيت انا بالمشاهدة ان ابا الفضل ابن
العميد انفذ الى ههنا (بغداد) في سنة نيف واربعين (بعد الثلاثمائة)
كتبا منقطعة اصيبت باصفهان في سور المدينة في صناديق
وكانت باليونانية فاستخرجها اهل هذا الشأن مثل يوحنا وغيره
وكانت اسماء الجيش ومبلغ ارزاقهم وكانت الكتب في نهاية متن
الرائحة حتى كأن الدباغة فارقتها عن قرب فلما بقيت ببغداد حولا
جفت وتغيرت وزالت الرائحة عنها »

وذكر ايضا ان ابا يوسف الرازي فسر المقالة العاشرة من
كتاب اقليدس في اصول الهندسة وجودها لابن العميد .
وكانت خزانة كتبه فيها كل علم وكل نوع من انواع

الحكم والآداب تحمل على مائة وقر وزيادة (١)

قال صاحب تجارب الامم وهو من عاصر ابن العميد ولازمه وكان قيم دار كتبة : « كان هذا الرجل - ابن العميد - قد ادي من الفضائل والمحاسن ما بهر به اهل زمانه حتى اذعن له العدو وسلم الحسود ولم يزاحمه احد في المعاني التي اجتمعت له وصار كالشمس التي لا تخفى على احد وكالبحر الذي يتحدث عنه بلا حرج ولم ار احدا قط زادت مشاهدته على الخبر عنه غيره . فمن ذلك انه كان اكتب اهل عصره واجمعهم لآلات الكتابة حفظاً للغة والغريب وتوسعاً في النحو والعروض واهتداء الى الاشتقاق والاستعارات وحفظاً للدواوين من شعراء الجاهلية والاسلام . ولقد حدثني ابو الحسن علي بن القاسم رحمه الله قال كنت اروي ابي ابا القاسم القصائد الغريبة من دواوين القدماء لان الاستاذ الرئيس كان يستنشه اذا رآه وكان لا يخلو اذا انشده من رد عليه في تصحف او لحن مما يذهب علينا فكان ذلك يشق علي واحب ان تصح له قصيدة لا يعرفها الاستاذ الرئيس او لا يرد عليه فيها شيئاً فاعيانني ذلك حتي وقع الي ديوان الكيت وهو

مكثر جداً فاخترت له ثلاث قصائد ذرية حفظت انها مسلوقة
الى الأستاذ الرئيس وحفظه اياها وتوجيت الحضور معه فلما وقع
بصره عليه قال : هات ابا القاسم الشدني شيئاً مما حفظته بهدي
فابتدأ ينشده فلما استمر في قصيدة من هذه القصائد قال له انك
فقد تركت من هذه القصيدة عدة ايات ثم انشده اياها فنجعلت
خجلة لم اخجل مثلها ثم استزاد فانشده القصيدة الاخرى فاسقط
فيها كما اسقط في الاولى واستدركه عليه ايضاً قال فعلت انه
الرجل بحر لا ينزف ولا يوتى ما عنده فهذا ما حدثني به هبذه
الرجل وكان ادبياً كاتباً .

واما ما شاهدته منذ مدة صحبتي اياه وكانت سبع سنين
لازمته فيها ليلاً ونهاراً انه ما انشد شعر قط لم يحفظ ديوان صاحبه
ولا غريب عليه بشعر قديم ولا محدث ممن يستحق ان يحفظ
شعره ولقد سمعته ينشد دواوين قوم مجهولين اتعجب من تعاطيه
حفظ مثلها .

ثم قال : فأما تأويل القرآن وحفظ مشكله وتشابهه والمعرفة
باختلاف فقهاء الامصار فكان منه في ارفع درجة واعلى رتبة ثم
اذا ترك هذه العلوم واخذ في الهندسة والتعاليم فلم يكن يدانيه فيها

احد فاما المنطق وعلوم الفلسفة والالهيّات منها خاصة فلما جسر احد في زمانه ان يدعيها بحضرته الا ان يكون مستفيداً او قاصداً قصد التعلم دون المذاكرة وقد رأيت بحضرته ابا الحسن العامري رحمه الله وكان ورد من خراسان وقصد بغداد وعاد وعنده انه فيلسوف تام وقد شرح كتب ارسطاطاليس وشاخ فيها فلما اطلع على علوم الاستاذ وعرف اتساعها فيها وتوفد خاطره وحسن حفظه للمسطور برك بين يديه واستأنف القراءة عليه وكان يعد نفسه في منزلة من يصلح ان يتعلم منه فقرأ عليه عدة كتب مستغلة ففتحها عليه ودرسه اياها .

ثم قال : فهذه كانت مرتبته في العلوم والآداب المعروفة ثم كان يختص بغرائب من العلوم الغامضة التي لا يدعيها احد كعلوم الجليل التي يحتاج اليها في اواخر علوم الهندسة والطبيعة والحركات الغريبة وجر الثقل ومعرفة مراكز الاثقال واخراج كثير مما امتنع على القدماء من القوة الى الفعل وعمل آلات غريبة لفتح القلاع والحيل على الحصون وحيل في الحروب مثل ذلك واتخاذ اسلحة عجيبة وسهام تنفذ امدا بعيدا وتؤثر آثاراً عظيمة ومرايي تحرق على مسافة بعيدة جداً ولطف كف لم يسمع بمثله ومعرفة

بدقائق، علم التصاوير وتعاط له بديع ولقد رأيتُه يتناول من مجلسه الذي يخلو فيه بثقائه واهل انسه النفاحة وما يجري مجراها فيعُبث بها ساعة ثم يدخرها وعليها صورة وجه قد خطها بظفره لو تعمد لها غيره بالالآت المعدة وفي الايام الكثيرة ما استوفى دقائقها ولا تأتي له مثلها الى ان قال : ولعل من يطلع على هذا الفصل من كتابنا ممن لم يشاهده يظن انا اعرضه شهادة او ادعينا له اكثر من قدر علمه ومبلغ فضله لا والذي انطقنا بالحق واخذ علينا الا نقول الا به »

لا اقول ان فيما قاله صاحب تجارب الامم محاباة او مداجاة ولكني ارى ان الرجل مع صدقه افراط في حبه لابن العميد بعد ان صجبه مدة طويلة فعظمت فضائل ابن العميد في عينه حتى صار لا يرى غيرها او لا يرى اعظم منها . على اننا اذا اخذنا بهذه الشهادة فاننا نأخذ على مؤديها انه اغفل ذكر العلوم التي قصر فيها ابن العميد قال صاحب معاهد التنصيص : « ويقال انه كان مع فنونه لا يدري الشرع فاذا تكلم احد بحضرته في امر الدين شق عليه وخنس ثم قطع على المتكلم فيه »

وما هذا بضائر ابن العميد لان الكمال لله وحده . والذي يؤخذ

مما تقدم ان الرجل كان راسخ القدم في العلوم العقلية والادبية
غير متمكن من العلوم الشرعية . والمطلع على ما بقي من آثاره
يلمس اثر العلم فيها كالشواهد الادبية والاشارات التاريخية
ومصطلحات العلوم العقلية واسماء الفلاسفة من ذلك قوله من
رسالة :

« وهبك افلاظون نفسه فاين ماسنننه من السياسة فقد قرأناه
فلم نجد فيه ارشادا الى قطيعة صديق ، فاحسبك ارسطاطاليس
بعينه اين مارسمته من الاخلاق فقد رأيناه فلم نر فيه هداية الى
شيء من العقوق ، واما الهندسة فانها باحثنة عن المقادير ، وان يعرفها
من يجهل مقدار نفسه ، وقدر الحق عليه وله ، بل لك في روءساء
العربية مناريح ومضطرب واسنا نشاحك . لكن اتحب ان نتحقق
بالغريب من القول دون الغريب من الفعل وقد اغتربت في
الذهاب بنفسك الى حيث لا تهتدي للرجوع عنه ، واما النحو
فلن تدفع عن حلق فيه وبصر به وقد اختصرته اوجز اختصار
وسهلت سبيل تعليمه على من يجعلك قدوة ، ويرضي بك اسوة ،
لمت الغدر والباطل وما جرى مجراهما مرفوع ، والصدق والوفاء
وما صاحبهما مخفوض ، وقد نصب الصديق عندك ولكن غرضا

يزشقي بسهام الغيبة ، وعلم يقصد بالوقية ، ولست بالعروضي ذي
اللمحة فاعرف قدر جذبك فيه ، الا اني لا اراك تتعرض لكامل
ولا وافر ، وليتك سبحت في بحر المجتئ منه الى شط المتقارب «
هذا ولابن العميد يذو بيضاء على العلم والادب لفرط
عنايته باهلها واصطفائه لهم وجعل داره مثابة للعلماء والادباء
والشعراء .

ابن العميد كاتباً

الكتابة فن ابن العميد الذي غلب عليه وعرف به وان كان
جود وشارك في كثير من العلوم كما نص عليه من قبل . فهو امام
في الكتابة وصاحب طريقة كتب لها البقاء اكثر من الطرق
التي سبقتها كطريقة ابن المقفع والجاحظ لالانه اعظم منها بل
لاسباب سيأتي الكلام عليها فيما بعد .

ابن العميد احد الاعلام الذين حفظت الاجيال اسمهم ولم
تحفظ من آثارهم الا النزر اليسير لان البقية الباقية بين ايدينا من
آثاره لاتكفي لتخليد اسمه بل لانتلاءم مع شهرته الواسعة في

عالم الادب اذ انه ليس من المعقول ان تقوم شهرته على ذلك. القدر اليسير من نثره ونظمه المتبعثر في كتب الادب والذي لو جمع لما زاد على كراستين فلا بد من ان يكون كتب كثيرا حتى ذاع اسمه وطارت شهرته فلما عبثت الايام بآثاره بقي اسمه خالدا بقوة الاستمرار. وليس ابن العميد وحيدا في هذا الشأن فاتباه في تاريخ ادبنا كثير كعبد الحميد الكاتب و بشار بن برد وعمر بن ابي مسعدة وغيرهم. لذلك فدراسة مثل هؤلاء الادباء لا يمكن ان تكون تامة والحكم عليهم لا يمكن ان يكون مسلما بصوابه مادامت اكثر آثارهم لا تزال مفقودة.

يعار الباحث في ابن العميد حينما يرى كتب التراجم والادب تغدق عليه الالقاب وتكيل له جمل التقريظ بغير حساب من مثل « الامتاز الرئيس » الجاحظ الثاني ، بدئت الكتابة بعبد الحميد ونخعت بابن العميد » ثم يرجع الى آثاره الباقية فلا يجد لها تستحق كل هذه الجلبة والضوضاء . فاذا هم بالحكم ازداد حيرة وارتباكا أيسلم بما قال القائلون والشواهد غير قاطعة ؟ ام يتجرد عن كل مؤثر ويجعل تلك الصبابة من آثار ابن العميد دليلا في الحكم على صاحبها ؟ وفي كلا الامرين حال لا يطمئن اليها الضمير

ولا يسكن لها الوجدان .

ولكنني لم اجد مزحلا عن الاخذ بالامر الثاني في اكثر البعث ، وما يضر ابن العميد قولي فيه على تلك الشريطة ان خالف قول مترجميه بعد ان اصطلح الناس على تأليهه في الادب منذ الف سنة .

لو قدر لرسل ابن العميد ان تبقى لبلغت مئات من الصفحات كما يؤخذ من كلام من ترجم له ولكن اجتياح المغول لبلاد فارس والعراق ذهب بالقسم العظيم من ميراثنا العلمي والادبي وذهبت معه آثار ابن العميد . والبقية الباقية منها مبثوثة في كتب الادب على سبيل الاقتباس والاختيار والتمثل وهي لا تخرج في مواضعها عن ثلاثة اقسام : الرسائل الديوانية « المكاتبات الرسمية » ، والاخوانيات « الرسائل الخاصة » ويقال انها احسن رسائله ، وفقر في الحكم تجري مجرى الامثال . ولعل الذي ضاع من اثره لا يختلف كثيرا عما بقي من حيث الموضوع عدا الكتب التي ألفها وعدا شعره .

اسلوبه وخصائصه

اظهر مافي طريقة ابن العميد الصنعة الدقيقة والزخرف في المفردات والجل والعناية باختيار الكلام السهل المصقول والقصد الى الاسجاع الرنانة والادلال بسعة الرواية من حيث الاقتباس والتمثل والاستشهاد بكلام العرب ما بين شعر ونثر ومثل وحكمة مع الاشارة الى اخبارهم ونواديرهم ووقائعهم مما يدل على ان اعظم عنصر في ثقافته الادب العربي الخالص .

ولكنه مع طول باعه في كلام العرب وادبهم تجدى في اسلوبه اشياء ينكرها الطبع العربي وذلك في بناء الجمل وصلتها بعضها ببعض ، فقد تمر برسالة من رسائله سهلة الموضوع واضحة الالفاظ تفهم كل جملة من جملها مستقلة فاذا انتهت من الرسالة غم عليك مراد الكاتب فتقف حائرا ثم فهمك تارة والكاتب اخرى .

وعلة الغموض في الحقيقة هو صلة الجمل بعضها ببعض ولعل السبب في ذلك تبجر ابن العميد في الفلسفة والعلوم الدخيلة مع تتبعه للصنعة وتلك امور تعطل عمل الطبع في الافصاح عن المراد .

من ذلك جواب كتبه ابن العميد لابي شجاع عضد الدولة عن

كتاب اقتضاه فيه صدور كتاب الفه فيه ابو الحسن الصوفي في
نوع من علوم الهيئة : « انا اقدم الاجابة بحمد الله تعالى جده على
ما وهب لنا معاشر عبيده وخدمه خاصة ، بل لرعاياه عامة ، بل لاهل
الارض كافة ، من عظيم النعمة بمكانه ، وجسيم الموهبة بانفاق اعمارنا
في زمانه ، حتى شار كناه في اسباب السعادة انني لم تزل مذكورة
عليه ، حتى صارت اليه ، وساهمناه في مواد الفضيلة التي لم تزل
محفوظة له ، حتى اتصلت به ، فان المرم لا شبه شيء بزمانه ، وصفات كل
زمان منتسخة من سجايا سلطانه . بان فضل شجاع الفضل في الزمان
واهله ، وتحلى الدهر بافضل حليته ، وتحلت العيون والقلوب باحسن
زينته ، وكسابنيه والناشئين فيه بشرف جوهره ، واورثهم نيل فضله ،
وعز العلم واهله ، وعرف لمقتبسه فضله ، وتوجهت الاذهان نحوه ،
وتعلقت الخواطر به وصرفت الفكر فيه ، ونشدت ضوالة ، ونظم
اسناده ، وجمعت افراده ، ووثقت نفوس الساعين في استفادته ، بحسن
عائده ، فحرصت عليه ، وصرفت نظرها اليه ، وايقنت في بضاعتها
بالنفاق ، وفي تجارتها بالارفاق ، فصار ذلك الى نماء العلوم وزيادتها
داعية بتكثير قليلها ، وايضاح مجهولها ، وسببا وعلة الى انخراط
جواهرها المتفرقة في سلوك التصنيف ، وسبيلا الى تقييد شواردها

يعقل التأليف . ان زل السلطان اتبعت الرذيلة اتباعا وذهبت الفضائل
خياراً ، وبطلت الاقدار والقيم ، وسلبت الاخطار والمهم ، وزال العلم
والتعلم ، ودرس الفهم والتفهم ، وضرب الجهل بجراحه ووطي بمنسمة
واستعلى الخمول على النباهة ، واستولى الباطل على الحق ، وصار
الادب وبالا على صاحبه ، والعلم نكالا على حامله ، وبحسب
عظم المحنة بن هذه صفته ، والبلوى مع من هذه صورته ، تعظم
النعمة بملك سلطان عالم كالامير الجليل عضد الدولة اطال الله
تعالى بقاءه وادام قدرته ، الذي احله الله عز وجل من الفضائل
بملئى طرقها ، ومجتمع فرقها ، فهي نوادى من لاقت حتى تصير اليه ،
وشوارد نوازع حيث حلت حتى تقع عليه ، تلتفت تلتفت الوامق ،
وتتشوف اليه تشوف الصب العاشق قد ملكتها انى توجهت وحشة
المضاع ، وحيرة المرتاع ،

فان تعش قوماً غيرهم او تزورهم فكالوحش يدينها من الانس المحل
حتى اذا قابلته اسرعت اليه امراع السيل ينصب في الحدور ،
والطير ينقض الى الوكور »

وهذا الكتاب كما ترى واضح الالفاظ والجميل ولكنه لا يخلو من
غموض في اجمال المعنى . لذلك وكلام ابن العميد في الفقر القصيرة

والحكم المستنقطة عن بعضها اوضح منه في كثير من رسائله .

وهناك شيء آخر في كلامه تشعر به ويستعصي عليك
تعليقه لاول وهلة ! كلام مختار والفاظ رقيقة ومعان تنم على علم
واسع وادب غزير ولكن كل ذلك لا يهز نفسك ولا يستثيرها كما
يفعل بها كلام ابن المقفع والجاحظ مع ان ابن العميد اعظم علما
واوسع رواية للادب من ابن المقفع . وسبب ذلك فيما اعتقد ان
الادب في نظر ابن العميد ضرب من ضروب التسليه والتلهي
والترفيه واظهار البراعة والغلو والاغراق والبعد عن الحقيقة في
التصوير والامعان في التزويق . واكثر ما بقي من آثاره في النثر
والشعر ليس له خطر من حيث الموضوع فهو اما رساله عتاب او
تهنئة او مداعبة او قصيدة يشكر بها هدية او ابيات في المعنى والالغاز
وما الى ذلك من المواضع التي ليست بذات بال بل هي الى اللهو
اقرب منها الى الجد .

على انه اذا حزبه أمر اضطره لاطراح اللهو والاخذ بالجد
اسمك صوتا تتبين الحياة في كل نبرة من نبراته كالرسالة التي
كتبها عن ركن الدولة الى ابن بلكا لما استعصى عليه جاء في

اواخرها : « تأمل حالك وقد بلغت هذا الفصل من كتابي
فستنكرها ، والمس جسدك وانظر هل يحس ؟ واجسس عرقك هل
ينبض ، وفتش ما حنى عليه اضلاعك هل نجد في عرضها قلبك ؟ وهل
حلا بصدرك ان تظفر بفوت مريح ، او موت مريح . ثم ^١قس
غائب امرك بشاهده ، وآخر شأنك باوله » (١)

قال الثعالبي بلغني عن ابن بلكا وكان أدب امثاله انه كان
يقول والله ما كانت لي حال عند قراءة هذا الفصل الا كما اشار
اليه الاستاذ الرئيس ولقد ناب كتابه عن الكتاب في عرك
اديمي واستصلاحى وردي الى طاعة صاحبه .

ولكن هذا النوع قليل فيما بقي من آثاره مع الاسف بل ربما
كانت تلك الرسالة هي الوحيدة .

...

قلت ان ابن العميد يكثر من الاستشهاد بكلام العرب وهو
فوق ذلك يستعين بمعانيهم فيحل منظومها تارة ويقتبسها اخرى
كقوله من رسالة في شهر رمضان : (كتابي جعاني الله فداك
(١) انظر هذه الرسالة وغيرها في الفصل الذي عنوانه : نصوص
من كلام ابن العميد ، (٤)

وانا في كد وتعب منذ فارقت شعبان، وفي جهد ونصب من شهر رمضان، وفي العذاب الادنى دون العذاب الاكبر من الم الجوع ووقع الصوم ومرتين بتضاعف :

حرور لو ان اللحم يصلى ببعضها غريضا اتى اصحابه وهو منضج وممتحن بهواجر يكاد اوارها يذيب دماغ الضب ، ويصرف وجه الحرباء عن التحنف ، ويزوبه عن التنصر ، يقبض يده عن امساك ساق وارسال ساق .

ويترك الجاب في شغل عن الحقب . ويقدر النار بين الجلد والعصب ويغادر الوحش وقد مالت هواذها الخ (٠٠)

كما ان اثر العلوم العقلية ومصطلحاتها وتسمية الفلاسفة وكتبهم بين في كلامه وقد مر بك مثال من ذلك في الصفحة (٤١)

...

طريقة ابن العميد في الانشاء تختلف اختلافًا بينا عن طريقة ابن المقفع والجاحظ فقد كان الاولان يسيران مع الطبع على اختلاف في قوة طبعها وسعة علمها ونظرهما الى الادب . اما ابن العميد فقد حول اتجاه الانشاء العربي بما اخذ نفسه به من التأني والتزويق وتبع الرقة في انتقاء اللفظ حتى كادت

الفاظ الكتاب من بعده توسم بوسم خاص . فمنذ ذلك الحين
انتصرت الصنعة على الطبع ونهفت الكتاب على مظاهر البيان
الخلابة ونتج عن ذلك فيما بعد حصر الكتابة بقيود من الالفاظ
لادت بها الى اغفال المعاني وتضييق مداها فاصبحت مواضع
الكتاب متشابهة وضعفت قوة الابداع .

قد يكون ابن العميد اجاد فيما كتب ضمن الحدود التي
شرعها لنفسه لانه من اقل معاصريه تكلفا واقوام طبعها واغزرها
مادة ولكنه سن سنة كانت غير محمود العاقبة لان الكتاب الذين
اثوابه ابعده امعنوا في التزام تلك الحدود وتشددوا بها وزادوا عليها
حتى صارت رسالة الكاتب اشبه بمتن يجمع انواع المعاني والبيان
والبديع .

يميل ابن العميد الى الاسهاب اخذا بطريقة الجاحظ ولكن
الجاحظ في اسهابه يتمتع من قلب ذهنة ويستمد صوب عقله ويلم
باطراف المعنى من كل ناحية . واسهاب ابن العميد نوع من الذهاب
بالنفس والادلال بسعة المعرفة من طريق الترادف والاقتباس
والاشارة والتعريض كقوله من رسالة في شهر رمضان : (احمد
الله على كل حال واسأله ان يعرفني فضل بر كته ، ويلقيني الخير

في باقي ايامه وخاتمته ، وارغب اليه في ان يقرب على القمر دوره *
ويقصر سيره ، ويخفف حر كته ، ويعجل نهضته ، وينقص مسافة
فلكه ودائره ، ويزيل بركة الطول من ساعاته ، ويرد علي غرة شوال
فهي اسر الغرر عندي ، واقرها لعيني ، ويسمعني النعرة في قفا شهر
رمضان ، ويعرض علي هلاله اخفى من السر ، واظلم من الكفر ،
وانحف من مجنون بني عامر ، واخضني من قيس بن ذريح ، وابلي من اسير
المجبر ، ويسلط عليه الحور بعد الكور (٠٠٠٠)

على ان رسالته الى ابن بلكا اشبه باسلوب الجاحظ في قوة
الطبع وصدق اللمجة

...

طريقة ابن العميد مع انها دون طريقة من تقدمه من الكتاب
تغلبت على غيرها وكتب لها البقاء اكثر من كل الطرق وذلك
لان عصر ابن العميد كان عصر تألق في كل مظهر من مظاهر
الحياة وطريقته على ما علمت من التألق والتزويق . ولعل لمنصبه
وجلاله قدره عملا في اقبال الناس على تقليده واتباع مذهبه ولا
تنس ان الاعتماد على الصنعة اسهل من الاعتماد على الطبع لان الاول
يستدعي الاتباع والاخر يستدعي الابتداع .

مر بك ان اظهر ما في اسلوب ابن العميد الصنعة وانه هو
الذي سن التزامها للكتاب من بعده وهنا مجال للبحث رأيت ان
اعقد له فصلاً خاصاً تحت عنوان : (الصنعة في الادب العربي)
عالج فيه منشأها وعلة التهافت عليها .

الصنعة في الادب العربي

يعتقد كثير من الادباء ان الادب العربي في شعره ونثره
كان ساذجاً بعيداً عن الصنعة منذ عضوره الاولى الى انقضاء
الدولة الاموية وان ادخال الصنعة عليه كان بتأثير المولدين
والمستعربين من الفرس الذين صار لهم شأن كبير في الدولة
العباسية ويلزم من ذلك ان الفارسي مبال الى التزويق والتمويه
وان الادب الفارسي مصنوع غير مطبوع .

هذا الرأي صحيح لا على اطلاقه فاساليب البيان والمحسنات
اللفظية والمعنوية واقعة في شعر الجاهليين وفي القرآن الكريم
وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام الشعراء والفصحاء
في صدر الاسلام والدولة الاموية ولكن لا على سبيل التبسع

والقصد والتعمد بل بقدر مستحسن ترتاح اليه النفس والاذن
ويزيد المعنى وضوحا واللفظ قوة وحسنا.

وقد حمل ابو هلال العسكري على من ادعى ان انواع البديع
ابتكرها المحدثون ولم يعرفها القدماء (١) وقال ابن رشيق في
كتاب العمدة : (ومن الشعر مطبوع ومصنوع فالمطبوع هو
الاصل الذي وضع اولاً وعليه المدار والمصنوع وان وقع عليه
هذا الاسم فليس متكلفا تكلف اشعار المولدين لكن وقع فيه
هذا النوع الذي سموه صنعة من غير قصد ولا تعمل لكن بطباع
القوم عفوا فاستحسنوه ومالوا اليه بعض الميل بعد ان عرفوا وجه
اختياره على غيره حتى صنع زهير الحوليات على وجه التنقيح
والثقيف يصنع القصيدة ثم يكرر نظره فيها خوفا من التعقب بعد
ان يكون قد فرغ في عملها في ساعة او ليلة وربما رصد اوقات
نشاطه فتباطأ عمله لذلك . والعرب لا تنظر في اعطاف شعرها
بان تجنس او تطابق او تقابل فتترك لفظه للفظه او معنى لمعنى
كما يفعل المحدثون ولكن نظرها في فصاحة الكلام وجزالته وبسط

المعنى وابرازه واتقان بنية الشعر واحكام عقد القوافي وتلاحم الكلام بعضه ببعض)

والشواهد على ما ذكر كثيرة في اشعار الجاهليين كقول اسريء القيس وفيه الطباق :

مكر مفر مقبل مدبر معا
كجلمود صخر حطه السبل من عل
وقول اوس بن حجر وفيه الجناس :

قد قلت للركب لولا انهم عجلوا
عوجوا على فحيوا الحي او سيروا
و كقول طرفة وفيه الترصيع :

بطيء عن الجلى سريع الى الخنا ذلول باجماع الرجال ملهد
الى غير ذلك من الامثلة الكثيرة في شعر الجاهلية .

وكذلك فقد وردت هذه الانواع واشباهها في القرآن الكريم قال صاحب الصناعتين : (لا يحسن منشور الكلام ولا يحلو حتى يكون مزدوجا ولا تكاد تجد لبايغ كلاما يخلو من الازدواج ولو استغنى كلام عن الازدواج لكان القرآن لانه في نظمه خارج من كلام الخلق وقد كثر الازدواج فيه حتى حصل

في اوساط الايات فضلا عما تزوج في الفواصل منه كقول الله تعالى « الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور » وقوله عز وجل « ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم » وقوله تعالى : (ولستم بأخذيه الا ان تغمضوا فيه) .

وفي المثل السائر لضيء الدين ابن الاثير : (لو كان السجع مذموما لما ورد في القرآن الكريم فانه قد اتي منه بالكثير حتى انه ليؤتى بالسورة جميعها مسجوعة كسورة الرحمن وسورة القمر وغيرهما وبالجملة فلم تخل منه سورة من السور فمن ذلك قوله تعالى : (لعن الله الكافرين واعد لهم سعيرا خالدين فيها ابدالا يمددون ولبا ولا نصيرا) وكقوله تعالى في سورة طه : (طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى وان تجهر في القول فانه يعلم السر واخفى الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى) وكذلك قوله تعالى في سورة ق : (بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في امر مريج افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج والارض مددناها والقينا فيها

رواسي وانبثنا فيها من كل زوج بهيج) وكقوله تعالى :
(والعاديات ضبحا فالمريرات قدحا فالغيرات ضبحا فائرن به نعا
فخوسطن به جمعا) وامثال ذلك كثيرة .

وعلى هذا الاسلوب ورد من كلام النبي عليه السلام شيء
كثير كقوله للانصار وفيه الطبايق والجناس : « انكم لتكثر
عند الفزع وتقلون عند الطمع » وكقوله عند قدومه المدينة :
« افشوا السلام واطعموا الطعام وصلوا الارحام وصلوا بالليل
والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام » وعن ابن مسعود قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : استحيوا من الله حق الحياء قلنا
انا لندستحيي من الله يا رسول الله قال ليس ذلك ولكن الاستحياء
من الله ان تحفظ الراس وما وعى والبطن وما حوى وتذكر
الموت والبلى ومن اراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا .

وجاء في صبح الاعشى للقلقشندي : (ربما صرف صلى الله
عليه وسلم الكلمة عن موضوعها في تصريح اللغة طلبا للمزاوجة
كقوله في تعويذة لابن ابنته : (اعيزه من الهامة والسامة والعين
اللامه) واصلها في اللغة المللمة لانها من المفعبر عنها باللامه لموافقة
الهامة والسامة . وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم للنساء :

(انصرفن مأزورات غير مأجورات) والاصل في اللغة ان يقاله
موزورات فغير بمأزورات لموافقة مأجورات .

وكذلك فقد وقعت الصنعة في كلام الشعراء والمفصحاء في
صدر الاسلام ودولة بني امية وايراد الشواهد من كلامهم يطيل
نفس البحث وحسي ان آتي بشاهد واحد من شعر جرير اطبع
شاعر اموي . وهو قوله وفيه الطباق :

وباسط خير فيكم يمينه وقابض شر عنكم بشمالها
ونلك الشواهد كما ترى فيها ما يسمى بالصنعة ولكنها
غير متكلفة بل تجري مع الطبع فما كان على هذه الاشكال قبل والا
نهي عنه كسجع الكهان لما فيه من التعسف والتكلف فقد روي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قضى على رجل في الجنين
بغرة عبد او امة فقال الرجل : (أأدي من لا شرب ولا اكل
ولا نطق ولا استهل ومثل ذلك بطل) فقال النبي عليه السلام
« اسجعاً كسجع الكهان؟ » .

على انهم كانوا يستعينون بالاساليب البهائية والمحسنات في
المواقف الخطاويه والوعد والوعد والترغيب والترهيب او في
المواقف الشعرية المبنية على الخيال اما في غير ذلك من المواضع فقد

كانوا يميلون الى البساطة في التعبير . ورسائل النبي عليه السلام .
احسن مثال على ذلك وعلى سننها جرى الخلفاء الراشدون وخلفاء
بنى امية .

ثم لما قامت الدولة العباسية وتفاقم اختلاط العرب بالاعاجم
لم يكن بالامكان ان تظل السلائق العربية خالصة لا سيما وقد
استعرب من الاعاجم اضعاف العرب وكان الفرس اعظم تلك
الامم خطرا في السياسة والعلم والادب فظهرت طبقة المولدين
وفيهم العربي والمستعرب وحاولوا ان يسلكوا نهج العرب الخالص
في كلامهم فحاكوهم واحسنوا المحاكاة وسمي ما ورد في كلامهم
من المحسنات المعنوية واللفظية صنعة لانه يجتلب على سبيل الروية
والمحاكاة لا على سبيل البديهة والسليقة سواء في ذلك الشعر
والنثر . وما زالت الصنعة يعظم شأنها ويكثر الاقبال عليها حتى
انتهت في الكتابة الى ابن العميد فالتزمها في رسائله وجعلها اعظم
اركان الكتابة وعمت جميع انواعها من غير تمييز بين المواقف
الخطابية والشعرية وبين غيرها من المواقف البعيدة عن الدعوة
والخيال حتى صارت عهد الخلفاء الى الملوك والوزراء والولاة
والقواد والقضاة تصدر مسجعة من اولها الى اخرها كالعهد التي

كان يكتبها ابو اسحق الصابي عن الخائفة وتلك ظاهرة في
الادب العربي غريبة جدا .

فانت ترى ان منشأ الصنعة في البدء كان المحافظة على
اساليب البلاغة العربية ومحاكاتها ثم افضى الى تلك النتيجة
الغريبة في البعد عن الطبع العربي . وان الفرس لما اولعوا بالصنعة
كان يرمون الى النشبه بالعرب في اساليبهم لا انهم نقلوا اساليب
ادبهم الفارسي الى الادب العربي فقد ورد في تاريخ آداب الفرس
للاستاذ براون ان الشعر الفارسي في عهد النهضة الفارسية كان
بعيدا عن الصنعة والغلو . فابن العميد وامثاله من ادباء العربية
الذين يتممون الى اصل فارسي انصرفوا الى الصنعة معتقدين انهم
يتوصلون بها الى اتقان البلاغة العربية ومحاكاة العرب الخاص في
اساليبهم ولكنهم في تشدهم ولاسيما من جاء بعدهم من المتطعين
خرجوا بالبلاغة العربية عن طبيعتها من حيث ارادوا السلوك على
منها :

ابلى ما يطلب النجاح به الطب

ع وعند التعق الزل
وبعد فالصنعة التي مصدرها الطبع والملاحظة هي في الكلام

كلاعضاء الحسنة في الجسم فاذا زادت عن القدر الطبيعي
شوئت محاسن الجسم وان كانت هي حسنة كما لو صورت وجهها
وجعلت له خمس عيون فيجل وعشرة حواجب مزججة فانه
يزعجك او يضحكك

ابن العميد شاعراً

علت درجة الثقافة والتهذيب في عصر ابن العميد فاصبح
الاديب يشارك في كثير من العلوم ولا يقنع بان ينصرف للجهة
واحدة . ولعل ابن العميد من اوائل الكتاب الذين اكثروا
من نظم الشعر فالمقدار الذي بقي من شعره يكاد يضارع ما بقي من
نثره مع ان الرجل معروف بالكتابة اكثر من الشعر وهو الذي
سن هذه السنة للكتاب من بعده كالصاحب ابن عباد وبديع
الزمان الهمداني والحريري فلقد اكثروا من قول الشعر بخلاف
الكتاب المتقدمين الذين كان شعرهم قليلا كعبد الحميد الكاتب
وابن المقفع والجاحظ .

وشعر ابن العميد من الشعر المصنوع المتكلف في صوغه
وتزويقه فيه كثير من الاستعارة والتشبيه والمحسنات المعنوية

واللفظية على نحو ما في نثره . حاول الالفاظ سهل التراكيب
ولكن يقل فيه الهام الشاعر على ان نفوذ بصره في اختيار الكلام
وصحة ذوقه في اجتناب الوحشي المستكره تجعل شعره عذبا
متسلسلا .

قال القلقشندي في صبح الاعشى انشد الصاحب ابن عباد
بمضرة ابن العميد قول ابي تمام :
كريم متى امدحه امدحه والورى

معي واذا مالمته لمته وحدي
فقال له ابن العميد هل تعرف في هذا البيت شيئا
من الهجنة فقال نعم مقابلة المدح باللوم وانما يقابل المدح
بالذم والهجاء فقال له ابن العميد غير هذا اريد قال لا ارى غير
ذلك فقال ابن العميد هذا التكرير في امدحه امدحه مع الجمع بين
الحاء والهاء وهما من حروف الحلق خارج عن حد الاعتدال زفر
كل التنافر فاستحسن الصاحب ابن عباد ذلك . قال صاحب
الصباح واول من نبه على ذلك الاستاذ ابن العميد رحمه الله .

وهكذا فقد كان ابن العميد دقيق النقد في انتقا الكلام
ولكن المواضع التي اهلجها في شعره ليست بذات بال كالغزل

والعتاب والمعيات والالغاز ولم اجد من نبه على توسط شعرة من مترجميه غير ابن خلكان قال : (ولابن العميد شعر وما اعجني الذي وقفت عليه منه حتى اثبتته سوى ما ذكره ابن الصابي في كتاب الوزراء) على انه مقبول كشعر كاتب لا كشعر شاعر . وقد قال ابنه ابو الفتح :

فان كان مسخوطا فقل شعر كاتب وان كان مرضيا فقل شعر كاثبي .
 ، وستطلع على امثلة من شعره في آخر هذه الرسالة .

صفته و اخلاقه

عرف ابن العميد بكرم الاخلاق وادب النفس واخباره . وبعض اقواله تدل على عقل راجح وادب عال وميل الى الجد ونفور من المزاح الماجن واقبال على العفة والتصون وكره للباو والتبجح . واعل لمنصبه في الوزارة دخلا كبيرا في اخذه بالجد والحزم لان احوال المملكة في ايامه والفتن التي تقع كانت تستدعي الحذر واليقظة والابتعاد عن الهزل في الحياة فمن كلامه قوله :
 « المزاح والهزل بابان اذا فتحا لم يغلقا الا بعد العسر ، وفحلان اذا اتفحا لم ينتجا غير الشر »

وروي انه وجد رقعة كتبها ابنه ابو الفتح الى بعض من
ينبسط اليه وفيها يبتان يتماجن بهما فغضب وقال : امثل ولدي
يكتب مثل هذا الفحش والفجور .

ولا شك ان اطلاعه الواسع على العلم والادب والحكمة
صقل طبعه وزاد في تهذيب نفسه وجعله يحاكم الامور بميزان العقل
كقوله : « اجتنب سلطان الهوى وشيطان الميل وغلبة الارادة »
كما ان اضطلاعه بامور السياسة وتدير المملكة وقيادة الجيوش
طبعه على اللباقة وسوء الظن بالناس والحذر الدائم والاخذ بالحيلة
والاحتراش قال :

آخ الرجال من الابا عد والاقارب لا تقارب
ان الاقارب كالعقا رب بل اضر من العقارب
على انه مع هذه الحيلة كان مشهوراً بحسن الصحبة ودماثة
الاخلاق قال ابن الاثير في الكامل : « كان ابو الفضل ابن
العبيد من محاسن الدنيا قد اجتمع فيه ما لم يجتمع في غيره من
حسن التدبير ومياسة الملك والكتابة التي اتى فيها بكل بديع
وكان عالماً في عدة فنون منها الادب فانه كان من العلماء به
ومنها حفظ اشعار العرب فانه حفظ منها ما لم يحفظ غيره مثله

فانه كان ماهرا فيها مع سلامة اعتقاد الى غير ذلك من الفضائل ومع حسن خلق ولين عشرة مع اصحابه وجلسائه وشجاعة تامة ومعرفة بامور الحرب والمحاصرات وبه تخرج عضد الدولة ومنه تعلم سيااسة الملك ومحبة العلم والعلماء)

وكان صاحب ابن عباد قد سافر الى بغداد فلما رجع اليه قال له كيف وجدتہا فقال ! (بغداد في البلاد كالأستاذ في العباد) ومن كلام ابن العميد في حفظ الاصحاب قوله : (قد يذل المرء ماله في اصلاح اعدائه ، فكيف يذهل العاقل عن حفظ اوليائه) وقول الثعالبي : « ان احسن رسائله الاخوانيات » يدل على وفائه ولين جانبه ودماثة اخلاقه .

قال صاحب تجارب الامم وهو ممن صاحب ابن العميد مدة طويلة : (كان الاستاذ رضي الله عنه قليل الكلام نزر الحديث الا اذا سئل ووجد من يفهم عنه فانه حينئذ ينشط فيسمع منه ، الا يوجد عند غيره مع عبارة فصيحة والفاظ متخيرة ومعان دقيقة لا يتجسس فيها ولا يتعلم . ثم رأيت بحضورنا جماعة ممن يتوسل اليه بضروب من الآداب والعلوم فما احد منهم كان يتمتع من تعظيمه في ذلك الفن الذي قصده به واطلاق القول بانه لم ير

مثله ولا ظن انه يخلق . وكان رحمه الله حُسن عشرته وطهارة اخلاقه ونزاهة نفسه اذا دخل اليه اديب او عالم متفرد بفن سكت له واصفى اليه واستحسن كل ما يسمعه منه استحسان من لا يعرف منه الا قدر ما يفهم به ما يورد عليه حتى اذا طاوله وانت الشهور والسنون على محاضرتة واتفق له ان يسأله عن شيء او يجري بمحضرتة نبذ منه فرغ اليه في اتمامه تدفق حيثئذ بجره وجاش خاطره وبهت من كان عند نفسه انه بارع في ذلك الفن والمعني وما اكثر من خجل عنده من المعجبين بانفسهم ولكن بعد ان يمد لهم في الميدان ويرخي من اعنتهم ويمسك عنهم مدة حتى ينفد ما عندهم ويجزل لهم العطاء عليه)

...

كان ابن العميد يعظم من شأن السلطان كثيرا ويرى ان بمصلحته صلاح الناس بل صلاح الزمان ايضا قال : (المرء اشبه شيء بزمانه ، وصفة كل زمان منتسخة من سجايا سلطانه) والفرس من اكثر الامم تعظيم الملو كهم لانهم كانوا قبل الاسلام يعتقدون ان سلطة ملوكهم مستمدة من الله فضلا عن ان ابن العميد رجل حكومة يعظم شأنه بمقدار ما يعظم شأن سلطانه .

مر بك ان ابن العميد كان عالما بالنجوم و كأن تمكنه من
 هذا العلم جعله يقول بالتنجيم واحكامه فقد ذكر صاحب معجم
 الادباء في ترجمة ابنه ابي الفتح ما نصه : (حدث احد اصحاب
 ابي الفضل ابن العميد المختصين به قال كان ابو الفتح ابن ابي
 الفضل يا كر اياه في كل يوم ويدخل اليه قبل كل احد فاتفق ان
 دخل يوما وانا جالس عنده فلما رآه مقبلا في الصحن وشاهد عمته
 وكانت ديلمية ومشيته وهو يختال فيها ويسرف في ثلويها عجب
 من ذلك وقال لي : اما ترى الى هذه العمة وهذه المشية في مخالفتها
 لعاداتنا ومفارقتها لطريقتنا فقلت قد رأيت وان رسم الاستاذ ان
 مخاطبه فيها وانها فعلت فقال لا نفعل فانه قصير العمر وما
 احب ان ادخل على قلبه هما ولا امنعه هوى . وقد زوي انه وجد
 له رقعة كتبها الى بعض من ينسبط اليه وفيها :

ادينا المعروف بالكردى

فلما وقف ابن العميد ابوه على ذلك غضب وقال امثل ولدي
 يكتب مثل هذا الفحش والفجور ثم قال والله لولا ولولا ولولا
 ثم امسك كأنه يشير الى ما حكم له من سوء العاقبة وقصر العمر)

وقال ياقوت في معجم الادباء : (قال ابو حيان خدشني
ابو الطيب الكيمياء قال قلت لابي الفضل بعد ان سم الحاجب
النيسابوري وبعد ان خطب على حمد ودس الى ابن هند وغيرهم
من اهل الكتابة والمروءة والنعم لو كففت فقد اسرفت فقال
يا ابا الطيب انا مضطر قال فقلت واي اضطرار ههنا والله ان
مخادعتنا لانفسنا في ضرنا ونفعنا لا عجب من مكابرة غيرنا لنا في
خيرنا وشرنا وهذا والله رين القلوب وصدأ العقل وفساد الاختيار
وكدر النفس وسوء العادة وعدم التوفيق فقال يا ابا الطيب انت
تتكلم بالظاهر وانا احترق في الباطن قال فقلت ان كان عذر لك في
هذه السيرة المخالفة لاهل الديانة واصحاب الحكمة قد بلغ هذا
الوضوح والجلاء فانك معذور عندنا ولعلك ايضا ماجور عند الله
مالك الجزاء وان كنت تعلم حقيقة ما تراجعني عليه القول وتناقلني
به الحجاج ! انك من الخاسرين الذين باءوا بغضب من الله على
مذاهب الناس اجمعين فبكى فقلت له البكاء لا ينفع ان كان
الاقلع اممكتنا والندم لا يجدي متى كان الاصرار قائما هذا كله
بسبب ابنك ابي الفتح والله ان ايامه لا تطول وان عيشه لا
يصفو وان حاله لا يستقيم وله اعداء لا يتخلص منهم وقد دل

مولده على ذلك وانك لا تدفع عنه قضاء الله وهو لا يغني عنك
من الله شيئاً فعليك بخويصة نفسك)

وكان طول باعة في الفلسفة كان السبب في ائهام بعضهم
الياء في دينه قال صاحب معاهد النصيص : « وكان ابن العميد
متفلسفا متهما برأي الاوائل » يعنى الفلاسفة . وقال ابن العماد
في شذرات الذهب في اخبار من ذهب : « كان ابن العميد
فيلسوفاً متهما برأي الحكماء . »

مع ان ابن الاثير قال بسلامة اعتقاده . ومهما يكن فان الحملة
على ابن العميد من هذه الجهة كانت اخف من الحملة على غيره من
النابيين كابن المقفع الذي رمي بالزندقة والجاحظ الذي رمي
بعدم الثقة في دينه لانه لم يتعرض لغضب سلطان او مناوأة فرقة
دينية .

على انه ليس في افعاله ولا اقواله شيء يستدل به على ما اتهم
به من الانحراف عن العقيدة الاسلامية بل هناك حادثة تشهد
بضحة ايمانه واخلاصه للاسلام وذلك ان ركن الدولة خذل في
احدى وقائمه ونقطعت به الاسباب فدعا ابن العميد يستشيريه في
حيلة للانزمام فقال له ابن العميد : « لا مفزع لك الا الى الله عز

وجل فاخلص نيتك له واعتقد عزميتك على ما بينك وبينه تعالى
يطلع على صدقها ويعرف صحتها وانو للمسلمين خيرا ولكافة الناس
مثله وعاهده على ما عمله ونفي به من الاعمال الصالحة والاحسان
فينا تلي الى من تلي عليه فان الحيل البشرية كلها انقطعت بنا ولم
يق لنا الا هذا الذي نصحتك به (١)

والذي يغلب على الظن ان الرجل كان يتشيع على مذهب
الزيدية لان اكثر اهل مدينة قم « بلدة امرته » شيعة زيدية
ولان الدولة البويهية التي كان وزيرها كانت شيعة ايضا ويذهب
مذهب الاعتزال في التوحيد لشدة اعجابه بالجاحظ وتوفره على
دراسة كتبه .

...

هذا ولقد الف ابو حيان التوحيدي كتابا في مثالب ابن
العميد والصاحب ابن عباد دعاه مثالب الوزيرين وذلك
بعد ان ذهب الى الري وصحب ابن العميد ثم ابن عباد
فلم يحمدهما قال ابن خلكان : « مثالب الوزيرين لابن حيان
التوحيدي ضمنه معايب ابن العميد والصاحب ابن عباد وتحامل

عليهما وعدد نقائصهما وسلبهما ما اشتهر عنهما من الفضائل
والافضال وبالغ في التعصب عليهما وما انصفهما»

على ان ابا حيان نفسه ما كان يجحد فضل الوزيرين في
مثالبه قال صاحب معجم الادباء في ترجمة صاحب ابن عباد:
«قال ابو حيان عند ما قارب الفراغ من كتابه في اخلاق
الوزيرين ولولا ان هذين الرجلين اعني ابن عباد وابن العميد كانا
كبيرى زمانهما واليهما انتهت الامور وعليهما طاعت شمس
الفضل وبهما ازدانت الدنيا وكانا بحيث ينشر الحسن منهما نشر
والقيح يوشع عنهما اثر الكنت لا انسكع في حديثهما هذا
التسكع ولا انحي عليهما بهذا الحمد ولكن القصد من يدعي
التمام اشنع والحرمان من السيد المأمول فاقرة والجهل من العالم منكرو
والكيرة ممن يدعي العصمة جائحة والبخل ممن يتبذأ منه
بدعواه عجيب ولو اردت مع هذا كله ان تجد لهما ذائفا في جميع من
كتب للجبل والديلم الى وقتك هذا المؤرخ في الكتاب لم تجد»
وكتاب المثالب مفقود ولكن بعض من ترجم لابن العميد
والصاحب وابي حيان اقتبس شيئا منه وما يتعلق بابن العميد من ذلك
لا يعد نقیصة من ذلك قول ابي حيان: (قلت لابي السلم نجية بن على

القحطاني الشاعر ابن عباد من ابن العميد فقال زرتهما متجمعا
وزرتهما جميعا وكان ابن العميد اعقل وكان يدعي الكرم وابن
عباد اكرم ويدعي العقل وهما في دعواهما كاذبان وعلى سجيتهما
جار يان (١)

وقال ابو حيان في كتاب الوزيرين : « جرى بيني (٢)
وبين ابي علي مسكويه شيء قال لي مرة اما ترى الى خطا
صاحبنا وهو يعني ابن العميد في اعطائه فلانا الف دينار ضربة
واحدة لقد اضاع هذا المال الخطير فيمن لا يستحق فقلت بعد
ما طال الحديث وتقطع بالاسف ايها الشيخ اسألك عن شيء
واحد فاضدق فانه لا مدب للكذب بيني وبينك لو غلط صاحبك
فيك بهذا العطاء وباضعافه واضعاف اضعافه ا كنت تخيله في
نفسك مخطئا ومبذرا ومفسدا او جاهلا بحق المال او كنت تقول
ما احسن ما فعل وايتيه اربي عليه فان كان الذي نسمع على حقيقة
فاعلم ان الذي يرد ورد مقالك انما هو الحسد او شيء آخر من
جنسه وانت تدعي الحكمة وتتكلف في الاخلاق وتزيف الزائف
وتختار منها المختار فافطن لامرك واطلم على شرك وشرك

(١) معجم الادباء ج ٢ ص ٣٠١ (٢) معجم الادباء ج ٥ ص ٤٠٦

وهناك قصة رواها أبو حيان في مثالب الوزيرين تلخص
في أن شاعرا مدح ابن العميد فتأخرت صلته فذهب مغاضبا
خائئمة ابن العميد ليعتذر إليه فلم يجده وقد ذكر أبو حيان أن
اسم ذلك الشاعر المنطقي وذكر غيره أنه ابن نباتة السعدي
وسترود في أخبار ابن العميد فانت ترى أن كل ما نسب إلى ابن
العميد من المثالب لا يقدر في عقل الرجل وأدبه ولا في أخلاقه
ومروءته على أن العصاة لله وحده .

أخبار ابن العميد

ابن العميد والجاحظ

قال أبو القاسم السيرافي : حضرنا مجلس الأستاذ الرئيس
أبي الفضل (ابن العميد) ققصر رجل بالجاحظ وأزرى عليه
وحلم الأستاذ عنه فلما خرج قلت له سكت أيها الأستاذ عن هذا
الجاهل في قوله مع عادتلك بالرد على أمثاله فقال لم أجد في مقابلته
أبلغ من تركه على جهله ولو واقفته وبينت له النظر في كتبه لصار
إنسانا يا أبا القاسم كتب الجاحظ نعلم العقل أولا والأدب ثانيا .

وكان ابن العميد يقول : ثلاثة علوم الناس كلها عيال فيها
على ثلاثة انفس اما الفقه فعلى ابي حنيفة واما الكلام فعلى ابي
الهديل واما البلاغة والعصاحة واللسن والعارضة فعلى ابي عثمان الجاحظ

ابن العميد والمتنبى

جاء في خزنة الادب البغدادي : (يقن ابو الطيب استقرار
ابي الفضل ابن العميد بارجان وانتظاره له — وكان ابن العميد
يخرج في السنة من الري خرجتين الى ارجان = فاستعد للمسير
وحدثنا ابو الفتح عثمان ابن جني عن علي بن حمزة البصري قال
كنت مع المتنبى لما ورد ارجان فلما ائثر ف عليها وجدها ضيقة
البقعة والدور والمساكن ف ضرب يده على صدره وقال تركت
ملوك الارض وهم يتعبدون بي وقصدت رب هذه المادرة فما
يكون منه ثم وقف بظاهر المدينة وارسل غلاما على راحلته الى
ابن العميد فدخل عليه وقال مولاي ابو الطيب المتنبى خارج
البلد وكان وقت القيلولة وهو مضطجع في دستانه فثار من مضجعه
واستبته ثم امر حاجبه باستقباله فركب واستركب من لقيه في
الطريق ففصل عن البلد بجمع كثير فتلقوه وقضوا حقته وادخلوه

البلد فدخل على ابي الفضل فقام له من الدست قياما مستويا
وطرح له كرسي عليه مخدة دياج وقال ابو الفضل كنت مشتاقا
اليك يا ابا الطيب ثم افاض المتني في حديث سفره وان غلاما له
احتمل سيفا وشذ عنه واخرج من كمه عقيب هذه المفاوضة درجا
فيه قصيدته

« باد هوالك صبرت ام لم تصبرا »

فوحى ابو الفضل الى حاجبة بقرطاس فيه مائتا دينار وسيف
غشاؤه فضة وقال هذا عوض عن السيف المأخوذ وافرد له دار
تزلها فلما استراح من تعب السفر كان يغشى ابا الفضل كل يوم
ويقول ما ازورك اكبأبا الا لشهوة النظر اليك ويؤء كلة وكان
ابو الفضل يقرأ عليه ديوان اللغة الذي جمعه ويتعجب من حفظه
وغزارة علمه . فاظلمهم النيروز فارسل ابو الفضل بعض ندمائه
الى المتني يقول كان يبلغني شعرك بالشام والمغرب وما سمعته دونه
فلم يجر جوابا الى ان حضره النيروز وانشده مهناً ومعتذراً فقال :
هل اعذري الى الهمام ابي الفض

ل قبول سواد عيني مداده

ما كفاني تقصير ما قلت فيه

عن علاه حتى شاه انتقاده
 انني اصيد البزاة ولكن
 اجل النجوم لا اصطاده
 ما نعدت ان ارى كتابي الفضل
 وهذا الذي اتاه اعتياده

ابن العميد وابن نباتة السعدي

ورد ابو نصر عبد العزيز ابن نباتة السعدي على ابن العميد
 وهو بالري وامتدحه بقصيدته التي اولها :
 يرحب اشتياق وادكار ولبيب انفس حرار
 فتأخرت صلته عنه فشفع هذه القصيدة باخرى واتبعها
 بزرقة فلم يزد ابن العميد من الالهال مع رقة حاله التي ورد
 عليها الى بابه فتوصل الى ان دخل عليه يوم الخميس وهو في
 مجلس حفل باعيان لدولة ومقدي ارباب الديوان فوقف بين
 يديه و اشار اليه يده وقال ايها الرئيس اني لزمك لزوم الظل
 وذللت لك ذل النعل واكملت النوى المحرق انتظارا لصلتك والله
 مابي من الحرمان ولكن شماتة الاعداء وهم قوم نصحوني فاغششتهم

وصدقوني فاتهمتهم فباي وجه القاهم وباي حجة اقاومهم ولم
احصل من مديح بعد مديح ومن نثر بعد نظم الا على ندم مؤلم
وياس مسقم فان كان للنجاح علامة فاين هي وما هي ؟ الا ان
الذين نحسدهم على ما مدحوا به كانوا من طينتك وان الذين
هجموا كانوا مثلك فزاحم بمنكبك اعظمهم شانا وانورهم شعاعا
وامدهم باعا واشرفهم بقاعا . فحار رشد ابن العميد ولم يدر ما
مايقول فاطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال هذا وقت يضيق عن
الاطالة منك في الاستزادة وعن الاطالة مني في المездеرة واذا
تواهبنا مادفعنا اليه استأنفنا ما تتحامد عليه . قال ابن نباتة ايها
الرئيس هذه نفثة مصدور منذ زمان وفضلة لسان قد خر من منذ
دهر والغني اذا مظل لئيم . فاستشاط ابن العميد وقال والله
ما استوجبت هذا العتب من احد من خلق الله . ولقد نافرت ابن
العميد من دون ذا حتى دفعنا الى قرا عائم ولجاج قائم ولست ولي
نعمتي فاحتملك ولا صنيعتي فاغضي عليك وان بعض ما اقررت
في مسامعي ينقض مرة الحليم ويبدد شمل الصبر هذا وما استقدمتك
بكتاب ولا استدعيتك برسول ولا سألتك مدحي ولا كلفتك
تقريضي . فقال ابن نباتة صدقت ايها الرئيس ما استقدمتني بكتاب .

ولا استبدعيتني برسول ولا سألتني مدحك ولا كلفني نقر بضك
ولكن جلست في صدر ديوانك بابهتك وقلت لا يخاطبني احد
الا بالرياسة ولا ينازعني خلق في احكام السياسة فاني كاتب ركن
السولة وزعيم الاولياء والحضرة والقيم بمصالح المملكة فكانك
دعوتني بلسان الحال ولم تدعني بلسان المقال . فثار ابن العميد
مغضبا واسرع في صحن داره الى ان دخل حجرته وتغوض
المجلس وماج الناس وسمع ابن نباتة وهو في صحن الدار مارا يقول:
والله ان سف التراب وللشي على الجمر اهون من هذا فلعن الله
الادب اذا كان بائعه مهينا ومشتريه مما كسا فيه . فلما سكن
غيظ ابن العميد وثاب اليه حلمه التمسه من الغد ليعتذر اليه
ويزيل آثار ما كان منه فكان غاص في سمع الارض وبصرها
فكانت حسرة في قلب ابن العميد الى ان مات .

قال ابن خلكان : وجدت هذه القصيدة وصورة هذا
المجلس منسويين الى غير ابن نباتة وكشفت ديوان ابن نباتة فلم ار
هذه القصيدة فيه ثم وجدت في كتاب ثلب الوزيرين تأليف ابي
حيان التوحيدي هذه القصيدة لابي محمد عبد الرزاق بن الحسن
المنظقي وهذه المخاطبة لشاعر من اهل الكرخ يعرف بموتة .

ابن العميد يطرح الشعراء

اجتمع عند ابن العميد يوما ابو محمد هندو وابو القاسم ابن
ابي الحسين بن سعد وابو الحسين ابن فارس وابو عبد الله الطبري
وابو الحسن البديهي فحياء بعض الزائرين بآترجة حسنة فقال
لهم تعالى نتجاذب اهداب وصفها فقالوا ان رأى سيدنا ان يتدي
فعل فابتدأ وقال : « وآترجة فيها طبائع اربع »

فقال ابو محمد : « وفيها فنون اللهو للشرب اجمع »

فقال ابو القاسم : « يشبهها الراثي مبيكة عسجد »

فقال ابو الحسين ابن فارس : « على انها من فأرة المسك اضوع »

فقال ابو عبد الله الطبري : « وما اصفر منها اللون لثقي والهوى »

فقال ابو الحسن البديهي : « ولكن اراها للمحبين تجمع »



رقية النقرس

دخل ابو بشر الفارسي الحافظ وكان متقدما في علم العربية
متأخرا في قول الشعر على ابن العميد يوما وقد هاج به النقرس
فانشده :

شكى النقرس نقرس اخو علم ونطيس
فما دام لكم قوس فنفسي لكم جوس
فقال له يا ابا بشر هذه رقية النقرس .

ذوقه في الشعر

قال ابن خلكان كان ابن العميد كثير الاعجاب بقول
بعضهم :

وجاءت الى ستر على الباب بيننا تخاف وقد قامت عليه الولا ئد
لتسمع شعري وهو يقرع قلبها بوحى توؤديه اليه القصائد
اذا سمعت منى لطيفا تنفست له نفسا تنقد منه القلائد

ابن العميد وابو الفرج الكاتب

كان ابو الفرج احمد بن محمد الكاتب مكينا عند مخدومه
ر كن الدولة ابن بويه و كان ابن العميد لا يوفيه حقه من الاكرام
فعاتبه مرارا فلم يفد فكتب اليه :

مالك موفور فما باله ا كسبك التيه على المعدم
ولم اذا جئت نهضنا وان جئنا نطاوات ولم تتمم
وان خرجنا لم تقل مثل ما نقول : قدم طرفه قدم
ان كنت ذا علم فمن ذا الذي مثل الذي تعلم لم يعلم
ولست في الغارب من دولة ونحن من دونك في المنسم
وقد ولينا وعزلنا كما انت فله نصغر ولم تعظم
تكافأت احوالنا كلها فصل على الانصاف او فاصرم

اهتمامه بخزانة كتبه

ورد مرة غزاة من خراسان الى الري فثاروا بها ونهبوا دار
ابن العميد وخزائنه . قال صاحب تجارب الامم وكان الي خزانة
كتبه فسلمت من بين خزائنه فلما انصرف الى منزله ليلا لم يجد

فيه ما يجلس عليه واشتغل قلبه بدفاته ولم يكن شيء أعز عليه منها
وكانت كثيرة فيها كل علم وكل نوع من أنواع الحكم والآداب
تحمل على مائة وقر وزيادة فلما رأيته سألتني عنها فقلت هي
بحالها لم تمسها يد فسري عنه وقال اشهد أنك ميمون النقية اما
مناثر الخزائن فيوجد منها عوض وهذه الخزانة هي التي لا عوض
منها ورأيت قد اسفر وجهه .



تصوص من كلام ابن العميد

رسالة وعيد واستصلاح

كتب عن ركن الدولة الى ابن بلكا لما استعصى عليه :
كتابي وانا مترجح بين طمع فيك ، واياس منك ، واقبال
عليك ، واعراض عنك ، فانك تدل بسابق حرمة ، وتمت بسالف
خدمة ، ايسرهما يوجب رعاية ، ويقتضي محافظة وعناية ، ثم
تمشعهمما بحادث غلول وخيانة ، وتتبعهما بأنف خلاف ومعضية ،
وادمي ذلك يحبط اعمالك ، ويتمحق كل ما يريى لك ، لا جرم افي
وقفت بين ميل اليك ، وميل عليك ، اقدم رجلا لصدمك ، واؤخر
اخرى عن قصدك ، وابسط يدا لاصطلامك واجتياحك ، واثني
ثانية لاستبقائك واستصلاحك ، واتوقف عن امتثال بعض المأمور
فيك ضنا بالنعمة عندك ، ومنافسة في الصنيعة لديك ، وتأميلا
لفيئتك وانصرافك ، ورجاء لمراجعتك وانعطافك ، فقد يعزب
العقل ثم يوءوب ، ويغرب اللب ثم يثوب ، ويذهب الحزم ثم
يعود ، ويفسد العزم ثم يصلح ، وبضاع الرأي ثم يستدرك ،
ويسكر المرء ثم يصحو ، ويكدر الماء ثم يصفو ، وكل ضيقة فالى

رخاء ، وكل غمرة فالى انجلاء ، وكما انك اتيت من اساءتك ما لم تحتسبه اولياؤك ، فلا تدع ان تأتي من احسانك ما لم ترتقبه اعداؤك ، وكما استمرت بك الغفلة حتى ركبت ما ركبت ، واخترت ما اخترت ، فلا عجب ان تنسبه انتباهة تبصر فيها قبح ما صنعت ، وسوء ما آثرت ، وسأقيم على رسمي في الابقاء والمماطلة ما صلح ، وعلى الاستيناء والمطاولة ما امكن ، طمعا في انابتك ، وتحكما لحسن الظن بك ، فلست اعزم فيما اظاهره من اعذارك ، وارادفه من انذارك ، احتجاجا عليك ، واستدراجا لك فان يشأ الله يرشدك ، ويأخذ بك الى حظك ويسددك ، فانه على كل شيء قدير ، وبالإجابة جدير .

(فصل منها) : وزعمت انك في طرف من الطاعة بعد ان كنت متوسطها ، واذا كنت كذلك فقد عرفت حالها ، وحلبت شطريها ، فنشدتك الله لما صدقت عما سألتك ، كيف وجدت ما زلت عنه وكيف تجد ما صرت اليه ؟ الم تكن من الاول في ظل ظليل ، ونسيم عليل ، وريح بلبل ، وهواء ندي ، وماء روي ، ومهاد وطي ، وكن كنين ، ومكان مكين ، وحصن حصين ، يقيك المتالف ، ويؤمنك المخاوف ، ويكنفك من

توائب الزمان ، ويحفظك من طوارق الحدثان ، عززت به بعد
الدلة ، وكثرت بعد القلة ، وارتفعت بعد الضعة ، وايسرت بعد
العسرة ، واثيرت بعد المتربة ، واتسعت بعد الضيقة ، وظفرت
بالولايات ، وخفقت فوقك الرايات ، ووطيء عقبك الرجال ،
وتعلقت بك الآمال ، وصرت تكاثرو بكاثربك ، وتشيرو بشار
إليك ، ويذكر على المنابر اسمك ، وفي المحاضر ذكرك ، فقيم
انت الان من الامر ؟ وما العوض عما عدت ، والخلف مما
وصفت ؟ وما استفدت حين اخرجت من الطاعة نفسك ، ونقضت
منها كفك ، وغمست في خلافها يدك ؟ وما الذي اظلك بعد انحسار
ظلمها عنك ؟ اظل ذو ثلاث شعب ، لا ظليل ولا يغني من اللهب ؟
قل : نعم كذلك ، فهو والله اكشف ظلالك في العاجلة واروحها في
الآجلة ، ان اقمتم على المحادة والعنود ، ووقفت على المشاقة والجحود .
ومنها : تأمل حالك وقد بلغت هذا الفصل من كتابي
فستنكرها ، والمس جسدي وانظر هل يحس ، واجسس عرقك
هل ينبض ، وفتش ما حنى عليه اضلاعك هل تجد في عرضها
قلبك ؟ وهل حلا بصدرك ان تظفر بفوت مرنج ، او موت
صريح ؟ ثم قس غائب امرك بشاهده ، وآخز شأنك باوله .

وصف سفن

من رسالة له جاء فيها :

(. . .) وكان العشاريات وقد رديت بالقار ، وحليت
باللجين والنضار ، عرائس منشورة الذوائب ، مخضوبة الحواجب ،
موشحة المناكب ، مقلدة القرائب ، متوجة المفارق ، مكلفة العواتق ،
فضية الحلل والقراطين . او طواويس ابرزت رقابها ، ونشرت
اجنحتها واذنابها ، وكأنها اذا جدت في اللحاق ، وتنافست في
السباق ، نوافر نعام ، او حوافل انعام ، او عقارب شالت بالابر ،
او دهم الخيل واضحة الحجول والغرر . وكان المجاديف طير تنفض
خوافيها ، او حبابب تعانق حبابب بايديها . . .)

رسالة في فتح

وكتب رسالة في ذكر فتح جاء منها :

« . . . » وقد خصنا الله تعالى معاشر عبيد الامير عضد
الدولة بنعمة يعلم مراتب النعم موقعها ، ويفوت مقدار المواهب
موضعها ، فباسمه ابقاه الله فتح الفتح ، وبشعاره استنزل النجح »

ويعين تقيته فرج الكرب ، وبسعادة جده كشف الخطب ،
وباقتزاه للدولة وحمايته عاد إليها ماؤها ، وراجعها بهاؤها ،
فجز الملك ونصر ، وذل العدو وقهر ، وجمت اطراف الدولة ،
وحفظت اكناف الملة ، واستجد نظام النعمة ، وسدت ستور
الصيانة دون الحرمة . ولو جعل المولى تقديس اسمه لنعمته اذا
تناهت على عبده جزاء غير الاخلاص في شكره . وقبل ما في
المقابلة الموهبة التي يستجدها عند خلقه غير لاغراق في حمده ،
لرأيت ان لاقتصر في قضاء حقه على بعض الملك دون بعض ،
ولجعلنا في صدر عن هذه النعمة الاعز من الامل والولد ، والانصرين
الساعد والعرض ، بل العميدين اقبال والكمد ، بل الناس كلها ،
والمهجة بامرها»

رسالة تهنئة

كتب الى عضد الدولة وقد ولد له ابنان توأمان : « وصل
كتاب الامير بالبشرى التي ابت النعمة بها ان تقع مفردة ،
وامتنعت العارفة فيها ان تسنح موحدة ، حتى تيسرت منحتان في
وطن ، وانتظمت موهبتان في قرن ، وطالع من النجيين ابي

القاسم وابي كاليجار - ادام الله عزهما - طالعا ملك ، ونجما
سعد ، وشهابا عز ، وكوكبا مجد ، فتأهلت بهما رباغ المحاسن ،
ووطئت لهما اكناف المكارم ، واستشرفت اليهما صدور الاسرة
والمناير . وفهمته وشكرت الله تعالى شكر من نادى الآمال
فاجابته مكتبة ، ودعا الاماني فجاءته مصحبة ، وحمدته حمدا
مكافئا جسيم مالتاح وعظيم ما افاد . واكتفني من السرور
مافسح مناهج الغبطة ، وسهل موارد البهجة ، وأشعت ماورد
اشاعة شرحت صدور الاولياء بمسارها ، وازعجت قلوب الاعداء
عن مقارها ، وسألت الله اتمام ما آذن به الاميران السيدان من
سعادة لا يهتدي اليها الاختيار علوا ، ولا ترتقي اليها الافكار
سموا ، وسلطان تضيق البحار عن اتساعه ، وتتحفض الافلاك
عن ارتفاعه ، ويبلغها افضل ما تقسمه السعود ، وتعلو به الجودود
حتى يستغرقا مع السابقين اخوتها مساعي الفضل ، ويشيدا
قواعد الفخر ، ويرجما صروف الدهر ، ويضبطا اطراف الارض ،
وهو تعالى قريب مجيب »

وكتب ايضا الى عضد الدولة بهذا المعنى :

اطال الله بقاء الامير الاجل عضد الدولة دام عزه وتأييده

وعلوه وتمهيده ، وبسطه وتوطيده ، وظاهر له من كل خير
مز يده ، وهنأه ما احتظاه به على قرب البلاد ، من توافر الاعداد ،
وتكثر الامداد ، وثمر الاول ، واره من النجابة في البنين
والاسباط ، ما اراه من الكرم في الآباء والاجداد ، ولا اخلى عينه
من قرة ، ونفسه من مسرة ، ومتجدد نعمة ، ومستأنف مكرمة ،
وزيادة في عدده ، وفسح في امده ، حتى يبلغ غاية مهله ،
ويستغرق نهاية امله ، ويستوفي ما بعد حسن ظنه وعرفه ، الله
السعادة فيما بشر عبده من طلوع بدرين هما انبعثا من نوره ،
واستنارا من دوره ، وحفا بسريره ، وجعل وفدهما متلائمين ،
وورودهما توأمين ، بشيرين بتظاهر النعم وتوافر القسم ، وموءذنين
يترادف بنين يجمعهم منخرق الفضاء ، ويشرق بنورهم افق العلا
وينتهي بهم امد النماء الى غاية نفوت غاية الاحصاء ولا زالت
السبل عامرة والمناهل غامرة ، بصفائح صادرهم بالبشر وآملهم
بالبئيل القاصد .

جواب الى عضد الدولة

كتب الى عضد الدولة كتابا منه :

« ٠٠ وقد » يعد اهل التحصيل في اسباب انقراض العلوم وانقباض مددها وانتقاض مررها والاحوال الداعية الى ارتفاع جل الموجود منها وعدم الزيادة فيها الطوفان بالنار والماء والموتان العارض من عموم الاوباء وتسلط المخالفين في المذاهب والآراء فان كل ذلك يخترم العلوم اختراما وينتهكها انتهاكا ويبحث اصولها اجتثاثا . وليس عندي الخطب في جميع ذلك يقارب مايولده تسلط ملك جاهل تطول مدته وتوسع قدرته فان البلاء به لا يعدله بلاء . وبحسب عظم المحنة بمن هذه صفته والبلوى بمن هذه صورته تعظم النعمة في تملك سلطان عالم عادل كالامير الجليل الذي احياه الله من الفضائل بملئى طرقها ومجتمع فرقها وهي نواد نوافر من لاقت حتى تصير اليه وشوارد نوازع حيث حلت حتى تقع عليه ثلثت اليه تلفت الوامق وتنشوف نحوه تشوف الصب العاشق قد ملكتها وحشة المضاع وحيرة المرتاع . فان نقش قوما بعده او تزورهم فكالوحش يدنيها من الانس المحل

(١) اثبت هذا الفصل الثعالي في يتيمة الدهر واورد الحصري في زهر الآداب جزءاً اطول منه نقلناه في الصفحة (٤٦) من هذه الرسالة

كتاب الى الصاحب ابن عباد

كان الصاحب ابن عباد يروي لابن العميد كلاما في رقعة-
اليه حين استكتبه لمؤيد الدولة وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم . مولاي وان كان سيداً بهرتنا نفاسته .
وابن صاحب تقدمت علينا رئاسته فانه يعدني سيدا ووالدا كما
اعده ولدا واحدا ومن حق ذلك ان يعضد رأيي برأيه ليزداد
استحكما وتظاهرا عقدا وابطراما . وحضرت اليوم مجلس مولانا
ركن الدولة ففاوضني ماجرى بينه وبين مولاي طويلا ووصل
به كلاما بسيطا واطلعتني على ان مولاي لايزيد بعد الاستقصاء
والاستيفاء على التقصي والاستعفاء والزم عبده ان اكره مولاي
اكراه المسألة واجبره اجبار الطلبة علما بانه ان دافع المجلس للعمور
طلبا للتحرز لم يرد وساطتي اخذاً بالتطول واقول بعد ان اقدم
مقدمة : مولاي غني عن هذا العمل بتصونه وتصلفه وعزوفه
وبهمته عن التكثر بالمال وتحصيله لكن العمل فقير الى كفايته
محتاج الى كفايته وما اقول ان مرادي ما يعقد من حساب وينشأ
من كتاب ويستظهر به من جمع ويذر من عطاء ومنع فكل

ذلك وان كان مقصودا وفي آلات الوزارة معدودا ففني كتاب
مولاي من يفني به ويستوفيه ويوفي عليه مايسر مساعيه . ولكن
ولي النعمة يريد لتهديب ولده ومن هو ولي عهده من بعده
والمأمول ليومه وغده ادام الله ايامه وبلغه فيه مرامه . ولا بد
وان كان الجوهر كريما والسنخ قديما والمجد صميما ومركب العقل
سليما من مناب من تعلم (كذا) ما للسياسة وما للرئاسة وكيف
تدير العامة والخاصة وبماذا تعقد المهابة ومن اين تجتلب الاصاله
والاصابة وكيف ترتب المراتب ويعالج الخطب اذا ضاقت
المذاهب وتعصى الشهوة اتحرس الحشمة وتهجر اللذة اتخص
الامرة ولا بد من محتشم يقوم في وجه صاحبه فيراده اذا بدر منه
الرأي المنقلب ويراجعه اذا جمح به الاجاج المرتكب ويعاوده اذا
ملكه الغضب الملتهب فلم يكن السبب في ان فسدت ممالك جمّة
وبلدان عدة الا ان خفضت اقدار الوزارة فانقبضت اطراف
الامارة . وليس يفسد على ما ارى بقية الارض الا اذا استمعين
باذئاب على هذا الامر . فلا يخلن مولاي على ولي نعمته بفضل
معرفته فمن هذه الدولة جري مافضله وفضل الشيخ الامين قبله
وان كان مسموعا كلامي وموثوقا باهتامي فلا يقعن انقباض عني

واعراض عما سبق مني ومولاي محكم الاجابة الى العمل فيما يقترحه
وغير مراجع فيما يشترطه وهذا خطي به وهو على ولي النعمة حجة
لا يبقى معها شبهة وساتبع هذه المخاطبة بالمشافهة اما بحضوري لديه
او بتجشمه الى هذا العليل الذي قد الح القرس عليه .



رسائله الاخوانيات

كتب الى ابي العلاء السروري في شهر رمضان :
كتابي جعلني الله فداك وانا في كد وتعب منذ فارقت
شعبان وفي جهد ونصب من شهر رمضان وفي العذاب الادنى
دون العذاب الاكبر من الم الجوع ووقع الصوم ومرتهن
بتضاعف:

حرور لو ان اللحم يصلى ببعضها
غريضا اتى اصحابه وهو منضج
وممتحن به واجر يكاد اوارها يذيب دماغ الضب ويصرف وجه
الحرباء عن التحنف ويزويه عن التنصر يقبض يده عن امساك
ساق وارسال ساق:

و يترك الجأب في شغل عن الحقب
 ويقدح النار بين الجلد والعصب
 ويفادر الوحش وقدمالت هواديا :
 سجدوا لدى الارطى كأن روءوسها
 تلاها صداع او فواق يصورها
 وكما قال الفرزدق :

ليوم ات دون الظلال شموه تظل المهاصورا جماجمها ماتغلي
 وكما قال مسكين الدارمي :
 وهاجرة ظلت كأن ظباها اذا ما انقته بالاقرون سجود
 تلوذ بشو بوب من الشمس فوقها كما لاذ من وخز السنان طريد
 ومنو بايام تماكى ظل الرمح طولاً وليال كابهم القطاة
 قصرنا ونوم كلالا قلة وكحسو الطائر من ماء الشاد دقة وكتصفية
 الطائر المستخرقة :

كما ابرقت قوما عطاشا غمامة فلما رجوها اقشعت وتجلت
 وكنقر العصافير وهي خائفة من النواطير يانع الرطب
 واحمد الله على كل حال واسأله ان يعرفني فضل بر كته
 ويلقيني الخير في باقي ايامه وخاتمه وارغب اليه في ان يقرب على

القمر دوره و يقصر سيره و يخفف حر كته و بعجل نهضته
وينقص مسافة فلكه ودائره و يزيل بركة الطول من ساعاته
و يرد علي غرة شوال فهي اسر الغرر عندي واقرها لعيني ويسمعي
النعرة في قفا شهر رمضان ويعرض علي هلاله اخفي من السر
واظلم من الكفر وانحف من مجنون بني عامر واضني من قيس
ابن ذريح وابلي من اسير الهجر ويسلط عليه الحور بعد الكور
و يرسل علي رفاقته التي يعشي العيون ضوءها ويحط من الاجسام
نوءها كلفا يغمرها وكسوفاً يسترها ويريد مغمور النور مغمور
الظهور قد جمعه والشمس برج واحد ودرجة مشتركة و ينقص
من اطرافه كما تنقص النيران من طرف الزند ويبعث عليه
الارضه ويهدي اليه السوس ويفري به الدود ويليه بالفار ويخترمه
بالجراد ويبيده بالنمل ويحتفه بالذر ويجعله من نجوم الرجم
ويهي به مسترق السمع ويخلصنا من معاودته ويريحنا من دوره
و يعذبه كما عذب عباده وخلقه و يفعل به فعله بالكتان و يمنع
به صنعه بالالوان ويقال به بما تقتضيه دعوة السارق اذا افتضح
بضوئه وتمت بك بطلوعه - و يرحم الله عبدا قال آمينا - واستغفر
الله جل وجهه مما قلته ان كرهه واستغفیه من توفيقى لما يذمه

واسأله صفحا يفيضه وعفوا يوسعها انه يعلم خائنة الاعين وما تخفي
الصدور . وحالي بعد ماشكوته سالحة وعلى ماتحب وتهوى جارية
ولله الحمد نقدرت اسماءه والشكر .

وكتب الى بعض اخوانه جوابا عن كتاب ورد اليه :
وصل ماوصلني به جعلني الله فداك من كتابك . بل
نعمتك التامة ومنتك العامة فقرت عيني بوروده وشفيت نفسي
بوفوده ونشرة، فحكى نسيم الرياض غب المطر ونفس الانوار
في السحر وتأملت مفتحة وما اشتمل عليه من اطائف كلمك
وبدائع حكمك فوجدته قد تحمل من فنون البر عنك وضروب
الفضل منك جدا وهزلا ملاء عيني وغمر قلبي وغلب فكري وبهر
لي فبقيت لا ادري اسموط در خصصتني بها ام عقود جوهر
منحتها؟ كما لا ادري ابكرا زففتها فيه ام روضة جهزتها منه ؟
ولا ادري أجدك ابلغ والطف ام هزلك ارفع واظرف ؟ وانا اوكل
بتبع ما انطوى عليه نفسا لا ترى الحظ الا ما اقتتته منه ولا تعد
الفضل الا فيما اخذته عنه وامتع بتأمله عينا لا انقر الا بمثله مما
يصدر عن يدك ويرد من عندك واعطيه نظرا لا يمله وطرفا
لا يطرف دونه واجعله مثالا ارتسمه واحتذيه وامتع خلقي بروقة

واغذي نفسي بيهجته ، وامزج قريحتي برفقه واشرح صدري
بقراءته . ولئن كنت عن تحصيل ماقلته عاجزاً ، وفي تعديدها ما ذكرته
متخلفاً ، لقد عرفت انه ما سمعت به من السحر الحلال .

وكتب الى القاضي ابن خلاد :

وصل كتابك الذي وصلت جناحه بفنون صلاتك وثفقتك ،
وضروب برك وتهدك ، فارحت لكل ما اوليت ، وابتهجت
بجميع ما اهديت ، واضفت احسانك في كل فصل الى نظائره
التي وكلت بها ذكرى ، ووقفت عليها شكري ، وتأملت النظم
فملكني العجب به ، وبهرني التعجب منه ، وقد رمت ان اجري
على العادة في تشبيهه بمستحسن من رهر جني ، وحل وحلي ،
وشذور الفرائد ، في فحور الخرائد

كالعداري غدون في الحلال البيض

وقد رحن في الخطوط السود

فلم اره شي عذلاً ، ولا ارضى ماعدته له مثلاً ، والله
يزيدك من فضله ولا يخليك من احسانه ، ويلهمك من
بر اخوانك ، ما تتم به صنيعةك لديهم ، ويرب معه احسانك اليهم .
وكتب الى بعض اخوانه في الشكوى والعتاب :

انا اشكو اليك - جعلني الله فداك - دهرأ خوونا ذدورا ،
وزمانا خدوعا غرورا ، لا يمنح ما يمنح الار يث ما ينتزع ، ولا يقي
فيما يهب الار يث ما يرتجع ، يبدو خيره لمعاشم ينقطع ، ويحلوماؤه
جرعا ثم يمتنع . وكانت منه شبعة مألوفة ، وسجية معروفة ، ان
يشفع ما يبرمه بقرب انتقاض ، ويهدي لما يبسطه وشك انتقاض .
وكنا نلبسه على ما شرط ، وان خاف منه وقسط . ونرضى على
الرغم بحكمه ، ونستثم بقصده وظلمه ، ونعتد من اسباب المسرة
ان لا يحجي محذوره مصمتا بلا انفراج ، ولا ياتي مكروهه صرفا
بلا مزاج ، وننعلل بما نختلسه من غفلاته ، ونسترقه من ساعاته ،
وقد استحدث غير ما عرفناه سنة مبتدعة ، وشريعة متبعة ، واعد
اكل صالحة من الفساد حالا ، وقرن بكل خلة من المكروه خللا ،
ويان ذاك - جعلني الله فداك - انه كان ينع من معارضته الالفين
بتفريق ذات البين ، نقد اثني ممنوا فيسك بجميع ما اوغره ، وما
اطويه من البلوى منك اكثر مما انشده ، واحسبني قد ظلمت
الدهر بسم - اثناء عليه ، والزمته جرم . لم يكن قدره بما يحيط به
وقدرته ترنقي اليه ، ولو انك اعنته وظاهرته وقصدت صرفه وآزرتة ،
وبعتني بيع الخاق وليس فيمن زاد ولكن فيمن نقص ، ثم اعرضت عني

اعراض غير مراجع ، واطرحتني اطراح غير مجامل ، فهلا وجدت
نفسك اهلا للجميل حين لم تجدني هناك ، وانفذت من حل
ماء قدت من غير جريمة ، ونكت ماعهدت من غير جريرة ،
فاجبني عن واحدة منها : ما هذا التغالي بنفسك ، والتعالي على
صديقك ، ولم نبذتي نبذ النواة ، وطرحتي طرح القذاة ، ولم
تلفظني من فيك ، وتمجني من حلقك ، وانا الحلال الحلوة والبارد
العذب ، وكيف لا تخاطر في ببالك خطرة ، وتصيري من اشغالك
مرة ، فترسل سلا ما ان لم نتجشم مكاتبة ، وتذكرني فيمن تذكر
ان لم تكن مخاطبة ، واحسب كتابي سيرد عليك فنشكره حتى
تثبت ، ولا تجمع بين اسم كاتبه وتصوير شخصه حتى نتذكر ،
فقد صرت عندك ممن يحا النسيان صورته من صدرك ، واسمه من
صحيفة حفظك ، ولعلك ايضا نتعجب من طمعي فيك وقد
توليت ، واستماتني لك وقد ايت ، ولا عجب فقد ينفجر الصخر
بالماء الزلال ويلين من هو اقسي منك قلبا فيعود الى الوصال ، وآخر
ما اقله ان ودي وقف عليك ، وحبس في شيلك ، ومتى عدت
اليه وجدته غضا طريا ، فجر به في المعاودة فاته في العود احمد .
وكتب الى بعض اخوانه متشوقا :

قد قرب - ايدك الله - محلك على تراخية ، ونصاقيب
مستترك على تنائيه ، لان الشوق يثلك ، والذكر يخيلك ، فنحن
في الظاهر على افتراق ، وفي الباطن على تلاق ، وفي التسمية
متباينون ، وفي المعنى متواصلون ، ولئن تفرقت الاشباح ، لقد
تعاقت الارواح .



رسائله الى ابي عبد الله الطبري

كتب الي ابي عبد الله جوابا :

كتابي وانا بحال لو لم ينغص منها الشوق اليك ، ولم يرتق
صفوها النزاع نحوك ، لعدتها من الاحوال الجميلة ، واعددت
حظي منها في النعم الجميلة ، فقد جمعت فيها بين سلامة عامة ،
ونعمة تامة ، وحظيت منها في جسمي بصلاح ، وفي شعبي بنجاح ،
لكن ما بقي ان يصفولي عيش مع بعدي عنك ، ويخلو ذرعي
مع خلوي منك ، ويسوغ لي مطعم ومشرب مع انفرادي دونك .
وكيف اطمع في ذلك وانت جزء من نفسي ، وناظم اشمل انسي ،
وقد حرمت رويتك ، وعدمت مشاهدتك ، وهل تسكن نفسي

متشعبة ذات انقسام ، وينفع انس ميت بلا نظام ، وقد قرأت
 كتابك جعلني الله فداك ، فامتلت سروراً بملاحظة خطك ،
 وتأمل تصرفك في لفظك ، وما اقرظها فكل خصالك مقرظ عندي ،
 وما امدحها فكل امرئ ممدوح في ضميري وعقدي وارجو ان
 تكون حقيقة امرئ موافقة لتقديري فيك فان كان كذلك والا
 فقد « غطى هواك وما القى على بصري »

وكتب اليه ايضا :

وصل كتابك فصادفني قريب العهد بانطلاق ، من عنث
 الفراق ، ووقفني مستريح الاعضاء والجوانح من جوى الاشتياق
 خان الدهر جرى على حكمه المألوف في تحويل الأحوال ومضى
 على رسمه المعروف في تبديل الاشكال ، واعتقني من مخالك
 عتقلا تستحق به ولا ، وابرأني من عهدتك براءة لاستوجب
 جمعها دركا ولا استثناء ، ونزع من عنقي ربة الذل في اخائك ،
 يبيدي جفائك ، ورش على ما كان يضطرم في ضميري من نيران
 الشوق بالسلو ، وشن على ما كان يلتهب في صدرى من الوجده
 اليأس ومسح اعشار قلبي فلام فطورها بجميل الصبر ، وشعب
 افلاذ كبدي فلاحم صدوعها بنحسن العزاء ، وتغلغل في مسالك

القامي فعرض عن النزاع اليك نزوعاً ومن الذهاب فيك رجوعاً
وكشف عن عيني ضبابات ما اتى الهوى على بصري ورفع عنها
غيابات ما سدله الشك دون نظري حتى حدر النقاب عن
صفحات شيمك ، وسفر عن وجوه خليقتك فلم اجد الامكرأ
ولم اتق الا مستكبراً فوليت منها فراراً وملئت رعباً فاذهب فقد
القيت حبلك على غاربك ورددت اليك ذم عهدك .

ومنها : واما عذرك الذي جزمت بسطه فانقبض وحاولت
تبيده ونقر يره فاستوفز واعرض ، ورفعت بضبعه فانخفض وقد
ورد ولعبه وجه يوشق بوله على رده وتزكيتة على جرحه فلم يف
بما بذلته من نفسك ، ولم يقم عند ظنك به . انى اوقد غطى
التزم وجهه ولف الحياء رأسه وغض الحجل طرفه ، فلم تتمكن
من استكشافه وولى فلم تقدر على ايقافه ومضى يعثر في فضول
ما يغشاه من كرب حتى سقط ، فقلنا للفم والليدين ، ثم امر بمطالعة
صحبته فلم اجد الا تأبط شراً او تحمل وزراً .
وكتب اليه ايضا :

اخاطب الشيخ سيدي - اطال الله بقاءه - مخاطبة مجروح
يروم الترويح عن قلبه ، ويريد التفريح من كربه فاكتبه

مكاتبه مصدور يريد ان ينث بعض مابه ويخفف الشكوى من
اوصابه ، ولو بقيت من الصبر بقية اسلوت ، ولو وجدت في اثناء
وجدي مخرجا يتخلله تجلد لا مسكت . فقدما لبنت الصديق
على علاقته ، وصفحت عن هناته ولكني مغلوب على العزاء ، مأخوذ
على عاذتي في الاغضاء ، فقد سل من جفائك ما ترك احتمالي جفاء ،
وذهب في نفسي من ظلمك ما انزف حلمي فجعله هباء . وتولى
علي من قبح فعلك في هجر يستمر على نسق وصد مطرد متسق
مالو فض على الورى وافيض على البشر لامتلات صدورهم فهل
اقدر على الاقدار . وهل اكلك الى مراعاتك وهل تشكو الى
ان الدهر حليفك على الاضرار وعقيدك على الافساد . او اشكوه
اليك فانكما وان كتبنا في قطيعة الصديق رضيعي لبات ، وفي
استيطاء مر كب العقوق شريكى عنان فانه قاصر عنك في دقائق
مخترة ، انت فيها نسيج وحدك او قاعد عما تقوم به من لطائف
مبتدعة . انت فيها وحيد عصرك ، انما متفقان في ظاهر يسر
الناظر وباطن يسوء الخابر وفي تبدل الابدال والتحول من حال
الى حال وفي بث حبال الزور ونصب اشراك الغرور وفي خلف
الموعود والرجوع في الموهوب . وفي فظاعة اهتضام ما يعير .

و بشاعة إرتجاع ما يمنح ، وقصد مشاركة الاحرار ، والتحامل عند
ذوي الاخطار ، وفي تكذيب الظنون والميل عن النباهة للخمول
الى كثير من شيتكما التي اسندتما اليها ، ومنيتكما التي تعاقدتما عليها ،
فاين هو من لا يجارى فيه نقض عرى العهد ونكث قوى العقود
وانى هو عن النعيمة والغيبة ، ومشى الضراء في الغيلة ، والنفق بالتفاق
في الحيلة ، واين هو من ادعى ضروب الباطل ، والتحلي بما هو منه
عاطل ، ونقص العلماء الافاضل ، هذا الى كثير من مساو منثورة
انت ناظمها ، ومضار متفرقة انت جامعها ، انت ايدك الله ان
سويته بنفسك ، ووزنته بوزنك ، اظلم منه لذويه ، زاعق منه لبنيه ،
وهبك على الجملة قد زعمت مفتر يا عليه انه اشد منك قدرة واعظم
بسطة ، واتم نصرة واطلق يدا في الاساءة ، وامضى في كل
نكايه شباة واحد في كل عاملة شداة واعظم في كل مكروه
متغفلا والى كل محذور متوصلا ، وان « الدهر ليس بمعتب
من يجزع » وان العتي منك مأمولة . ومن جهتك مرقوبة وهيهات
فلو توهم انه لو كان ذا روح وجثمان ، مصور في صورة انسان ، ثم
كاتبته استعطفه على الصلة واستغفبه من الهجر واذكره من المودة
واستميل به الى رعاية المعتب واستخدم به ماشبه الفراق في نفسي

من اللوعة، واضرمه البعاد في صدري من الحرقه، لكان لا يستحسن
ما استحسنته من الاضطراب عند جوابي، ولا يستجيز ما استجزته
من الاستخفاف بكتاتي .

وله فصل في هذه الرسالة وقد ذكر دعواه في العلم : وهبك
افلاطون نفسه فاين ما سنته من السياسة فقد قرأناه فلم نجد فيه
ارشادا الى قطيعة صديق ، فاحسبك ارسطاطا ليس بعينه اين ما
رسمته من الاخلاق فقد رأينا فلم نر فيه هداية الى شيء من
العقوق ، واما الهندسة فانها باحثة عن المقادير ، وان يعرفها من
يجهل مقدار نفسه ، وقدر الحق عليه وله ، بل لك في رؤساء العربية
منادح ومضطرب ، ولسنا نشاحك . لكن اتحب ان تتحقق
بالغريب من القول دون الغريب من الفعل ، وقد أغتربت في
الذهاب بنفسك الى حيث لا تهتدي للرجوع عنه ، واما النحو
فلن تدفع عن حذق فيه وبصر به ، وقد اختصرته اوجز اختصار
وسهلت سبيل تعليمه على من يجعلك قدوة ، ويرضى بك اسوة ،
فقلت الغدر والباطل وما جرى مجراها مرفوع ، والصدق
والوفاء وما صاحبها مخفوض ، وقد نصب الصديق عندك ، ولكن
غرضنا يرشق بسهام الغيبة ، وعلمنا يقصد بالوقية ، ولست بالعروضي

ذي اللهجة فاعرف قدر حذقك فيه ، الا اني لا اراك تتعرض
لكامل ولا وافر ، ولبتك سبحت في بحر المجتث حتى تخرج منه
الى شط المقنارب .

وفي فصل منها ايضا :

وهبني سكت لدعواك سكوت منعجب ، ورضيت رضا
متسخط ، ايرضى الفضل اجتذا بك باهدابه ، من يدى اهليه
واصحابه ، واحسبك لم تراحم خطابه ، حتى عرفت قلة فقره ،
وقلة حصره ، فاصدقني هل انشدك :

لو بابا نين جاء يخطب - ا -
ضرج ما انف خاطب بدم
وليت شعري باي حلي تصديت له ، وانت لو ثوجت بالثريا ،
وقلدت قلادة الفئك ، وتمنطقت بمنطقة الجوزاء ، وتوشحت
بالنجرة لم تكن الا عطلا ، ولو توضحت بانوار الربع الزاهر ،
وسرجت في جبينك غرة البدر الباهر ، ما كنت الا غافلا ،
سيما مع قلة وفائك ، وضعف اخائك ، وظلمة ما نبصره من
خصالك ، وتراكم الدجى في ضلالك ، وقد ندمت على ما اعد
لك من دوني ، ولكن اي ساعة مندم ، بعد افناء الزمان في
ابتدائك ، وتصفحي حالات الدهر في اختيارك ، وبعد تضييع

ما غرسته ، وثقضي ما اسسته ، فان الوداد غرس اذا لم يوافق ثرى
ثرىا ، وجوا عذبا وماء ، روىا ، لم يرج زكاؤه ، ولم يجر ماؤه ، ولم
تنفتح ازهاره ، ولم تجن ثماره . ولبت شعري كيف ملك الضلال
قيادي حتى اشكل علي ما يحتاج اليه المزوجان ، ولا يستغني
عنه المتألفان ، وهي مازجة طبع ، وموافقة شكل وخلق ، ومطابقة
خيم وخلق ، وما وصلتنا حال جمعتنا على ائتلاف ، وحمتنا من
اختلاف ، ونحن في طرفي ضدين ، وبين امرين متباعدين ، واذا
حصلت الامر وجدت ما يبتنا من البعاد ، اكثر مما بين الوهاد
والنجد ، وابعد مما بين البياض والسواد ، وايسر ما يبتنا من النفار ،
اقل ما يبتنا من النضار ، واكثر ما بين الليل والنهار ، والاعلان
والاسرار .



فصول من كلامه تجري مجرى الامثال

من اسر داءه ، وستر ظأه ، بعد عليه ان يبيل من علله ،
ويبيل من غلله .

متي خلصت للدهر حال من اعتوار اذى ، وصفا فيه شرب
من اعتراض قذي ؟

خير القول ما اغناك جده والهاك هزله .
الرتب لا تبلغ الا بتدرج وتدرج ولا تدرك الا بتجشم
كلفة وتصعب .

المرء اشبه شي . بزمانه وصفة كل زمان منسوخة من سجايا
سلطانه .

قد يئذل المرء ماله في اصلاح اعدائه ، فكيف يذهل العاقل
عن حفظ اوليائه .

هل السيد الا من تهابه اذا حضر ، وتغتابه اذا ادبر ؟
اجتنب سلطان الهوى وشيطان الميل وغلبة الارادة .
المزح والهزل بابان اذا فتحا لم يغلقا الا بعد العسر وفحلان
اذا القحا لم ينتجا غير الشر .

مرضاة السلطان لا تغلوب شي* من الاثمن ولا يبذل الروح
والجنان .

ينبغي للملك ان يستظهر على اعدائه بسبعة اجناس من الناس :
فيتخذ الاحرار عدد ملكه ، والاعراب امناء جيشه ، والديلم اركان
جنده والجيل حجرات عسكره ، والاتراك خواص اصحابه ،
والهند حراس قلاعه والاكراد غلغا لسيوف اعدائه .

الابقاء على حشم السلطان وعماله ، عدل الابقاء على ماله ،
والاشفاق على ديناره ودرهمه .

العاقل من افتتح في كل امر خاتمه ، وعلم من بدء كل شي*
عاقبه .

وقال يوما على المائدة : اطيب ما يكون الحمل ، اذا حلت .
الشمس الحمل .



أمثلة من شعره

كتب الى بعض اخوانه هذه القصيدة ليعرضها على ابي الحسن العباسي ولعلها احسن ما قال :

قد ذبت غير حشاشة وذماء	ما بين حر هوى وحر هواء
لا استفيق من الغرام ولا ارى	خلوا من الاشجان والبرحاء
وصروف ايام اقن قيامتي	بنوى الخليط وفرقة القرناء
ومثير هيج لا يشق غباره	فيما خباه مهيج الهيجاء
وجفاء خل كنت احسب انه	عوني على السراء والضراء
ثبت العزيمة في العقوق ووده	متقل كنتقل الاقياء
ذي ملة يأتيك اثبت عهده	كالخط يرقم في بسط الماء
ابكي ويضحك الفراق ولن ترى	عجبا كحاضر ضحكاه وبكائي
بنفسي فداؤك يا محمد من فتى	نشوان من اكرومة وحياء
كأس من الشيم التي في ضمنها	درك العلا عار من العوراء
عذب الخلائق قد احطت بخبره	وبلوته في شدة ورخاء
وبلوت حاله معا فوجدته	في العود اكرم منه في الابداء
ابلغ رسالتني الشريف وقل له	قدك اثب ار بيت في الغلواء

كنت الذي شئت شمل مسرتي وقدحت نار الشوق في احشائي
 وجمعت بين مساءتي ومسرتي وقرنت بين مبرتي وجفائي
 ونبتت حقي عشرتي ومودتي وهرقت مائي خلتي واخائي
 وثبتت آمالي على ادراجها ورددت خائبة وفود رجائي
 فخرجت عنك بما يؤوب بمثله راجي السراب بقفرة بيدا
 وعرضت ودي بالحقيير ولم اكن ممن يباع وداده ببقاء
 ورضيت بالثمن اليسير معوضة مني فهلا بعثني بفلا
 وزعمت انك لست تفكر بعدما علقت يدك بذمة الامراء
 هيهات لم تصدقك فكرتك التي قد اوهمتك غنى عن الوزراء
 لم تقن عن احد سماء لم يجد ارضا ولا ارض بغير سماء
 وسألتك العتي فلم ترفني لها اهلا وجئت بغدرة الشوها
 وردت مموهة ولم يرفع لها طرف ولم ترزق من الاصغاء
 واعار منطقها التذم سكتة فتراجعت تمشي على استحياء
 لم تشف من كمد ولم تبرد على كبد ولم تمنح جوانب داء
 من يشف من داء بآخر مثله اثرت جوانحه من الادواء
 داوت جوى بجوى وليس بحازم من يستكف النار بالخلفاء
 لا تقنم اغضاءتي فلعلها كالمين تقضيها على الاقضاء

واسبق بعض حشاشتي فلعلاني يوما اقبك بها من الاسواء
فلوان ما ابقيت من جسعي قذى في العين لم يمنع من الاعفاء
فلئن ارحت الي عازب سلوتي ووجدت في نفسي نسيم عزاء
لاجهزن اليك قبح تشكر ولا نثرن عليك سوء ثنائي
ولا كسونك كل يوم حلة متروعة من حية رقصاء
ولا عضلن مودتي من بعدها حتى ازوجها من الاكفاء

وكتب الي ابي الحسن العباسي :

اشكو اليك زمانا ظل يعر كني عرك الاديم ومن بعدي على الزمن
وصاحباً كنت مغبوطاً بصحبته دهرها فغادرني فردا بلا سكن
هبت له ريح اقبال فطار بها نحو السرور والجاني الي الحزن
نأى بجانبه غنى وصيرني من الامسى ودواعي الشوق في قرن
وباع صفو وداد كنت اقصره عليه مجتهدا في السر والعلن
وكان غالى به حيناً فارخصه يا من رأى صفو ودبيع بالغبن
كانه كان مطويا على احسن ولم يكن في ضروب الشعراء ثدنى :
« ان الكرام اذا ما سهلوا ذكروا من كان يألفهم في المنزل الحشن »
وكتب اليه ايضا :

يا من تخلى وولى وصد غني وملا

واوسع العهد نكثا واتبع العقد حلا
 ما كان عهدك الا عهد الشيبه ولى
 او طائفا من خيال الم ثم تولى
 او عارضا لاح حتى اذا دنى فتدلى
 الوت به نسمات من الصبا فتجلى
 اهلاً بما ترتضيه في كل حال وسهلا
 ايجزينك ودي بمثل فعلك فعلا
 ان شئت هجرأف هجرا اوشئت وصلاً فوصلا
 صبرت عنى فانظر ظفرت بالصبرام لا
 انى اذا الخل ولى وليته ما تولى

وسئل بعض حاضري مجلسه عن قصة له فقال ولم يقصدوزة :
 اى جهد لقيته وتقم شقيقته

فقال ابن العميد قولوا على هذا الوزن شعراً ، وفي المجلس
 ابو الحسن العباسي وابن خلاد التميمي فقل ابو الحسن ابياتاً اولها :
 بي غزال مقرطى شفني اذ هو يته
 وقل ابن خلاد ابياتاً اولها :
 يا خليلي ساعدا في على مدهيته

وقال ابن العميد :

اي جهد لقيته	وشقاء شقيته
من نصيح اود من	نصح لي سكوته
قال صبراً ومادري	ان صبري رزيت
قلت عنك الملام ما	باختياري هويته
لم اكن اجشم البلا	لو اني كفيته
رب ثوب من المذ	له فيه كسينه
ضل عني تجلدي	فكأني نسيت
في فؤادي هوى يجر	قني لو وطيته
يا ابن خلاد الذي	شاع في الناس صيته
انصف الهائم الذي	يتجافى ميته
قل لمن اتبه المها	مقلته وليته
نفره قد اشد شم	ل اصطباري شتيته
ليس يحبي المتيم الص	ب الا ميمته
انت قوتي وما بقا	امري بان قوته
اي ذنب سوى المذ	له في الحب جيته
ما اسيغ السلوعه	لك لو اني سقيته

كيف يرجو البقاء ان باين الماء حوته
 ما اشاء السلوع لك فان شئت شيته
 كل شيء رضيته من غرامي رضيته
 وكتب الى ابي الحسن بن هندو صبيحة عرسته :
 انعم ابا حسن صباحا وازدد بزوجتك ارتياحا
 قد رضت طرفك خاليا فهل استلنت له جماحا
 وقدحت زندك جاهدا فهل استبنت له انقداحا
 وطرقت مغلقا فهل سن الا له انفتاحا
 قد كنت ارسلت العيو ن صباح يومك والرواحا
 وبعثت مصغية تبث ليدك ترثب النجاحا
 ففدت على بجملة لم تولني الا افتضاحا
 وشكت الي خلاخلا خرسا واوشحة فصاحا
 منعت وساوسها المسا مع ان تحس لكم صباحا
 وكتب الى اخيه ابي محمد بن هندو وقد اهدى له مدادا :
 ياسيدي وعمادي امددثني بمداد
 كمسكنيك جميعا من ناظري وفوءادي
 او كالليالي اللواتي رميننا بالبعاد

اهدى ابن خلاد الى ابن العميد شيئاً من الاطعمة وكتبه
اليه في وصفها وابن العميد اذ ذاك في عقب مرض عرض له فكتب
الى ابن خلاد قصيدة اولها :

قل لابن خلاد المفضي الى امد في الفضل رز فية اى نبريز
يغدى اهتزازك للعلياء كل فتى مؤخر عن مدى الغايات محجوز
ماذا اردت الى منهوض نائبة مدفع عن حمى اللذات ملهوز
هزرت بالوصف في احشائه قرما مازال يهتز فيها غير مهزوز
لم يترك فيه وحوى ماوصفت له من الاطايب عضوا غير محفوز
اهدت نبرمة (١) اهدت لاسكها كرب المطامير في آب وتموز
ما كنت لولا فساد الحس تأمل في جنس من السمن في دوشاب شهريز
هل غير شتى حبوب قد تعاورها جيش المهاريس او نخز المناخير
رمت الحلاوة فيها ثم جئت بها تحذي اللسان بطعم جد ممزوز
لو ساعدتك بنو حواء قاطبة عليه ما كان فيهم غير ملموز
اوقعت للشعر في اوصافها شغلا بين القصائد تروى والاراجيز
لا احمد المرء اقصى مايجود به اذا عصرناه اصناف الشواريز
قال الثعالبي : اظن ان النبرمة شيء يجمع من الحبوب ويدق ويعجن

بحلاوة .

مامتعة العين في خد تورده يزهى عليك بخال فيه مركزوز
 مستغرب الحسن في توشيع وجنته بدائع بين تسهيم وتطريز
 يوفي على القمر الموفي اذا اتصلت يسراه بالكأس او يمشاه بالكوز
 اشهى اليك من الشيراز قد وضحت في صحن وجنتها خيلان شونيز
 وقد جرى الزيت في مثني اسرتها فضا رعت فضة تغلي بابرير
 ماذا السماح بتقريظ وتزكية وقد بخلت بمذخور ومكنوز
 ومنها :

لا غرو ان لم ترح للجود راحته فالبلخل مستحسن في شيمة الخوزي
 واهدى بن خلاد اليه كتابا في الاطعمة وابن العميد ناقله
 من علة كانت به فكتب الى ابن خلاد قصيدة منها :

فهمت كتابك في الاطعمه	وما كان نولي ان افهمه
فكم هاج من قرم ساكن	واوضح من شهوة مبهمه
وارث في كبدي غلة	من الجوع نيرانها مضرمه
فكيف عمدت به ناقها	جوانحه للطوى مسلمه
خفوق الحشا ان تصخ تستمع	من الجوع في صدره همهمه
تتيح له شرها موجعا	وتغري به نعمة موءله
قايين الاخاء وما يقتضيه	منك بامبابنا المبرمه

واين تكرمك المستفيض	فينا اذا غاضت المكرمه
وهلا اضفت الى ماوصف	ت شيئاً نهش لان نطعمه
يمد الصديق اليه يدأ	اذا مارآه ويشحي فيه
واين شواريزك المرتضا	ة اذا ماتفاضلت الاطعمه
واين كواميخك المجتبا	ة دون الاطاييب بالتكرمه
وهل انت راض بقولي اذا	ذكرت دعوه فما الأمه
اذا المرء اكرم شيرازه	فلا اكرم الله من اكرمه
وكيف ارتقا بي بقيا امرئ	اذا ايم اعتب بالنبرمه
فان كان يجزيك نعت الطعا	م اذا الجوع ناب اذاه فيه
اذا جعت فاعمد لمسموطة	يجوزابة الموز مستفرمه
متى قستها بالمنى جاتا	سواء كما جاءت الابلمه
وبز السرايل عن افرخ	تخال بها فلذ الاسنمه
تهب النفوس الى نيثها	كأن النفوس بها مغرمه
فلا الفم ان ذاقه مجه	ولا الطبع ان رازه استوخه
وذلك وسطا اجاد الصنا	ع تلفيق شطرية بالهندمه
وعالى على دفعه هيدبا	كثيفا كما تحمل المقرمه
سدى من ثنائف نيرت بهن	فاضحت نسائجها ملحمة

فمن صدر فائقة قد ثوت ومن عجز ناهضة ملقمة
ودنر بالجوز اجوازه ودرهم باللوز مادرهه
وقانى بزيتونها والجبن صفائح من بيضة مدعمه
فمن اسطرفيه مشكولة ومن اسطر كتبت معجمه
وفوف بالبقل اعطافه فوافى كحاشية معلمه
موشى تخال به مطرفا بديع التفاويف والنعمة
اذا ضاحتك تباشيره اضاءت له المعدة المظلمه
وهاك خبيصا اذا ما اقترح ت على العبد انعامه انعمه
اذا سار في ثغرة سدها او انساب في خال لائمة
فان شئت فاخل به مفردا وان شئت فادع اليه لمه
واياك تهدم ما قد بنا ه هدمما وتنقض ما يومه
فان لم نجد ذاك يجدي علي لك اذا ما سغبت ققل لي لمه
تعد من الجود وصف الطعا م ولست تقول بان تطعمة
وتحظر ما قد احل الاله ضارارا وتطلق ما حرمه
فهل نزلت في الذي قد شء ت على احد آبة محكمه
وهل سنة فيه مأثورة رواها لاشياخكم علقمه
وقلت تواصوا بصبر جميل فاين ذهبت عن المرحمه

ومن عجب حاكم ظالم يرجى ليحكم في مظلمه
وقال في الغزل من قصيدة :

هل البث الاماتحملنيه ام البرح الاماتكلفنيه
متى علقت نفسي حبيبا تعلق به غير الايام تسلبنيه
شفيعي اذا استشفعت غير مشفع ووجهي اذا وجهت غير وجهه
وقام على رأسه غلام حسن يظله من الشمس فقال :
قامت تظلني من الشمس نفس اعز علي من نفسي
قامت تظلني ومن عجب شمس تظلني من الشمس
ونال في فصد معشوقه :

ويح الطبيب الذي جست يداه يدك ما كان اجله فيما قد اعنمك
بأية شيء تراه كان معتذرا من مسه بجددمو لم جسدك
لو ان الحاطه كانت مباضعه ثم انتحاك بها من رقة فصدك
وقال من قصيدته الهريه التي عارض فيها ابن العلاف :

ياهر فارقتنا مفارقة عمت جميع النفوس بالثكل
لو كان بالحادثات لي قبل اذا اتاك الصريخ من قبلي
يامثلا سائرا اذا ذكر الحسد ن تركت الحسان كالمثل
وقيل هل تفتديه ان قبل الد هر فداء فقلت حبل

افديه باصفوة الكرام من الاخوان دون الاخذان والخلل
 بل بمخل الكرى ومعتلج الفك ر وحب اقلوب والمقل
 بل بسكون الوجيب يحلبه الام ن الى قلب خائف وجل
 بل مجلول الشفاء تجنبه الصح ة بعد الاوصاب والعلل
 بل يبلوغ المنى وقاصية البغ ية عفوا ونهبة الامل
 ومما يتمثل به من شعره قوله :

آخ الرجال من الابا عد والاقارب لاتقارب
 ان الاقارب كالعقا رب بل اضر من العقارب
 وقوله :

لن يصرف الدهر من سجيته ارب اريب وحول ذي حيل
 اي معين صفا على كدر انده ر واي النعيم لم يزل
 وقوله :

وللرأي زلات يظل بها الفتى مركبة فوق الشايات انامله
 وقال في الشعر الاسود والشيب :

رأيت في الوجه طاقة بقيت سوداء عيني نحب روءيتها
 فقلت للبيض اذ تروعها بالله الا زحمت غربتها
 فقل لبث السوداء في بلد تكون فيه البيضاء ضررتها

وقال في المغني القرشي :

إذا غناني القرشي يوما وعناني بروءيته وضربه
وددت لو أن اذني مثل عيني هناك وإن عيني مثل قلبه
وقال فيه أيضا :

إذا غني لنا أمما حشوت مسامي صمما
وإن أبصرت طلعتة كحلت نواظري بعى
(شعره في المعنى)

قال في السفرجل :

يقولون خطب من البين جلا ولم أر سير الخليط استقلا
وقد لقبوه نوى غربة ولم أر أقرب منه محلا
وبزت سرايله عنوة فإني لما تعرى ي تحلا
واقرد من بين أتراه فما غص من حسنه أن تحلى
وزل فقلنا لما ناعشا لعل إذا ما تعلی تدلى
تزيد مكانه لذة إذا ما الغمام عليه استهلا
إذا نال منه السليم استقل وإن نال منه السقم استبلا
إذا ما مروء مل روح الحيا فحاشا لذلك من أن يبلا
وقال في ماء الورد :

قل للاديب ابي الحسيه ن اتمك صماء الغير
نكراه في حالاتها لنوي البصائر معتبر
دهياء يعترف الضمير ر بها وينكرها البصر
ماذا ترى في درهم قد مسه قد الابر
وتجف من بعده تباشرا طرفا وزر
ازرى به وسط الردى وهو الحياة المشتيز
فاكشف لنا عن سره بلطيف سندك والنظر

وقال في الشمس :

ماذا ترى يا ابا العباس في عجب تشابهت منه اولاه واخراه
ترى مقدمه شروى مؤخره حسنا ويمناه في مثال يسراه
من حيث واجهته ارضاك منظره وكيف قابلتك اغناك مغناه
يهوى المباعده منه قرب منزله حتى اذا مات غشاها نخاماه

.



ابنه ابو الفتح

٣٣٧ — ٣٦٦

ولد ابو الفتح علي ابن ابي الفضل ابن العميد سنة ٣٣٧ هـ . ويغلب على الظن ان يكون ولد في الري لان مولده كان بعد ان تولى ابوه ابن العميد وزارة ركن الدولة بتسع سنوات وفي الري كانت اقامة ابن العميد منذ صار وزيراً .

نشأ ابو الفتح في كنف ابيه وناهيك بدار ابن العميد من دار جمعت ابهة الوزارة وكانت كعبة اهل العلم والادب فشب على الترف والنعم واقبل على العلوم والآداب وكان فطناً ذكياً وادبه ابوه فاحسن تأديبه واختار له ابا الحسين ابن فارس اللغوي مهذباً فاحسن تهذيبه وجالس به ادباء عصره مبالغة في ثقيفه وكان حريصاً على الوقوف على جميع ما يفعله ابنه في السر والعلن فجعل جماعة من ثقات ابي الفتح في صباه يشرفون عليه في منزله ومكتبه ويشاهدون احواله ويحصون انفاسه وينهون الى ابيه جميع ما يأتيه ويقولوه ويفعله . فرغم اليه بعضهم : ان ابا الفتح

اشتغل ليلة بما يشتغل به الاحداث من عقد مجلس مصرة واحضار
الندماء في خفية شديدة واحتياط من ابيه وانه كتب الى من
مما يستمديه شرابا فحمل اليه مايصلحهم من الشراب والنقل
والمشموم . فدرس ابوه الى ذلك الانسان من جاء بالرقعة الصادرة
عن ابي الفتح فاذا فيها بخطه : (بسم الله الرحمن الرحيم قد اغتصمت
الليلة اطل بقاء سيدي ومولاي رقدة من عين الدهر وانتهزت
فيها فرصة من فرص العمر وانتظمت مع اصحابي في سمط الثريا
فان لم تحفظ علينا النظام باهداء المدام عدنا كبنات نعش
والسلام) فاستطير ابوه فرحا واعجابا بهذه الرقعة البديعة وقل :
الآن ظهر لي اثر براءته ووثقت بحرية في طريقي ونيابته منابي
ووقع له بالفي دينار .

وحكى ابو الحسين ابن فارس قال كنت عند الاستاذ ابي الفتح
في يوم شديد الحر فرمت الشمس بجمرات الهاجرة فقال لي ماقول
الشيخ في قلبه ؟ فلم احر جوابا لاني لم افطن لما اراد فلما كان بعد
هنيهة اقبل رسول والده الاستاذ الرئيس يستدعيني الى مجلسه
فقمت اليه فلما مثلت بين يديه تبسم ضاحكاً الي وقال ! ماقول
الشيخ في قلبه ؟ فبهت وسكت ومازلت افكر حتى نبتت على

انها ارادا الحيش (١) فكأن من كان يشرف على ابي الفتح من
جهة ابيه الاستاذ اتاه بتلك اللفظة في تلك الساعة ولفرط اهتزازه
لها اراد مجاراتي وقرأت صحيفة السرور من وجهه اعجابا بها ثم
اخذت اتحفه بنكت نثره وملح نظمه وكان مما اعجب به وتعجب
منه واستضحك له حكايتي رقعة له وردت علي وصدرها (رقعة
الشيخ اصغر من عنققة بقعة واقصر من انملة غلّة)

وهكذا فقد ظهرت نجابته منذ حادثته فمن شعره وهو في
المكتب قوله من قصيدة في ابيه اولها :

اليل هو	ام شعر	وبرق هو	ام ثغر
وحر الصدر	ما ضمة	مت الاحشاء	ام جمر
ولهاء	كمثل البحة	ر يرتاع	لها السفر
تعسفت	على هول	وتحتي	بازل جسر
الى من	وجهه بدر	ومن	راحتة بحر
ومن جدواه	مد لد	ورى	ليس له جزر

(١) مروحة الحيش نسيج خشن من الكتان كشرع السفينة يعلقها
اهل العراق في سقف البيت ويعملون لها حبلا تجريه مبلولة بالماء فاذا
اراد الرجل ان ينام جذب حبلا فيهب منها نسيم بارد يذهب هوى الحر
ويستطاب معه النوم .

هو الغيث هو الليث هو الفخر هو الذخر
لامر مظلم يخشى وخطب فادح يعرو
وكتب ابو الفتح الى ابي الطيب المتني لما كان عند عضد
الدولة كتابا مضمونه الشوق الى لقائه فاجابه المتني :

بكتب الانام كتاب ورد فدت يد كاتبه كل يد
يعبر عما له عندنا ويذكر من شوقه مانجد
فاخرق رائيه ما رأى وابرق ناقده ما انتقد
اذا سمع الناس الفاظه خلقن له في القلوب الحمد
فقلت وقد فرس الناطقين كذا يفعل الاسد ابن الاسد

سار ابو الفتح على سنن ابيه في العلم والادب والمروءة والفضل
الا انه كان ميالاً للمرح والدعة مأخوذاً بمظاهر التيه والعظمة
بالرغم من ان اياه كان يستنكر ذلك منه و يراه وبالا عليه وعلى
امرته قال ياقوت في معجم الادباء : حدث احد اصحاب ابي
الفضل ابن العميد المختصين به قال كان ابو الفتح ابن ابي الفضل
يباكر اياه في كل يوم ويدخل اليه قبل كل احد فاتفق ان يدخل
يوما وانا جالس عنده فلما رآه مقبلا في الصحن وشاهد عمته وكانت
ديلمية ومشيته وهو يختال فيها ويسرف في تلويها عجب من ذاك

وقال لي اما ترى الى هذه العمة وهذه المشية في مخالفتها لمعادننا
ومفارقتها طريقنا فقلت قد رأيت وان رسم الاستاذ ان اخاطبه
فيها وانها عنها فعلت فقال لا تفعل فانه قصير العمر وما احب ان
ادخل على قلبه هما ولا امنعه هوى .

وروي ان اياه وجد له رفعة كتبها الى بعض من ينسبط
اليه وفيها :

اديبنا المعروف بالكردى
.

فغضب وقال امتل ولدي يكتب مثل هذا الفحش والفجور
ثم قال اما والله لولا ولولا ولولا ثم امسك قال يا قوت كأنه يشير
الى ما حكم له من سوء العاقبة وقصر العمر .

وكان ابوه يقول في مجلس خلواته قبيل موته بهمدان :
ما يهلك آل العميد ولا يحو آثارهم الا هذا الصبي يعني ابنه
ويقول : ما قتلتني الا جرع الغيظ التي تجرعتها منه .

قال ابو علي مسكويه في نجارب الامم : كان ابو الفتح لقلعة
حنكته ونزق شبابه وتهوره في الامور يقدم على مالا يقدم عليه
ابوه ويحب ان يسير في خواص الديلم ويمشون بين يديه ويختلط

بهم اختلاط من يستميل بقلوبهم ويخلع عليهم خلعا كثيرة ويحمل
روء ساءهم وقوادهم على الخيول الفرة بالمراكب الثقال ويريد
بجميع ذلك ان يسلموا له الرئاسة حتى لا يأنف احد من ثقبيل
الارض بين يديه والمشى قدامه اذار كب . وكان جميع ذلك مما لا يؤثره
الاستاذ الرئيس ولا يرضاه لسيرته وكان يعظه وينهاه عن هذه السيرة
ويعلمه ان ذلك لو كان مما يترخص فيه لكان هو بنفسه قد سبق اليه

لما توفي ابن العميد سنة ٣٦٠ قام ابنه ابو الفتح مقامه في
الوزارة وهو ابن اثنتين وعشرين سنة قال ابو علي مسكويه :
صار ابو الفتح وزيرا وصاحب جيش على رسم والده سنة ٣٦١
وكان ركن الدولة قد شاخ وسئم فقوض اليه الامور كلها وكان
فيه مع رجاحته وفضله وادب الكتابة وتيفظه وفراسته نزق الحدائث
وسكر الشباب وجرأة القدرة فتطلعت نفسه الى اظهار الزينة
الكثيرة وكان يسرف في ركوب الاهواء فجلب عليه ذلك
ضروب الحسد من ضروب السلاطين واصحاب السيوف والاقلام
فكان يركب في موكب عظيم ويغشى الدار والديوان فاذا خرج
تبعه الجميع وملت دار الامارة .

والتقى في أيام وزيرة أبي الفتح ابن استمصى الأيوبي في بغداد على عز الدولة بختيار ابن معز الدولة فارسى الى عمه ركن الدولة يستعين به فامرابا الفتح بالمضي في جيش كديف من الري الى شيراز والمسير في سبعة ولده عظمى الدولة لانقاذ عز الدولة فصار الى بغداد واعادوا الاحوال الى ما كانت عليه فطمع ~~بضم~~ الدولة بملك بغداد ولكن اباه ركن الدولة منعه وامره بالخروج منها في خبر يطول تفصيله .

وكان ابو الفتح لقي في بغداد اقبالا عظيما فوصل الى حضرة الخليفة الطائم لله فخلع عليه ولقبه ذا الكفایتين و كناه في مكتبه بابي الفتح وثجز منه خلعاً ولقبا لغرض الدولة واقطع من نواحي السواد ضياعا كثيرة ودعاه ابو طاهر ابن بقیة عدة دعوات وملا عينيه بالهدايا والملاطفات وقال في بعض الايام لابد ان اخلع على ابن العميد في مجلسي ودعاه فلما قعد واكل وجلس على الشرب اخذ ابن بقیة بيده فرجية ورداء في غاية الحسن والجلالة ووافى بهما الى ابن العميد وقال له قد صرت ايها الاستاذ جامدارك فانظر هل ترتضيني لخدمتك وطرح الفرجية عليه وقدم الرداء بين يديه فاخذه ولبسه .

وكان ابو الفتح مدة اقامته في بغداد يعقد مجالس مختلفة للفقهاء يوما وللادباء يوما وللمتكلمين يوما وللمتفلسين يوما ففرق اموالا خطيرة ودخل شهر رمضان فاحتشد وبالق ووصل جوهره وجرت في مجالسه غرائب العلم وبدائع الحكمة وتقيد النابيين من اهل العلم والادب واراد امتصاصهم معه الى الري .
خرج عضد الدولة من بغداد مكرها في شوال سنة ٣٦٤ وهو واجد على ابي الفتح فكان يقول خرجت من بغداد ولنا ذريتين الشارب (١) وابن العميد الوزير ذو الكفائتين ابو الفتح .
وشهد على ابي الفتح ان لا يقيم ببغداد بعده الا ثلاثة ايام ثم يباحق بوالده بالري .

قال ابو علي مسكويه . لما خرج عضد الدولة الى فارس طابت بغداد لابي الفتح ابن العميد واحب الخلاعة والدخول مع بختيار في افانين لهوه ولعبه ووجد خلو ذرع من اشغاله وراحة من تدبير امر صاحبه ركن الدولة مدة وحصلت له زبازب (٢) ودور على الشط وستارات غناه محسنات وتمكن من اللذات وعرف (١) لقيه اهل بغداد بذلك لانه كان ازرق العين (٢) الزبازب ضرب من السفن .

بختيار ماصنع من الجميل في بابه وانه خلص من مخالب السبع بعد ان افترسه وان سعيه بين ركن الدولة وبينه هو الذي رد عليه روحه وملكه فبسطه وعرض عليه وزارته وتمكينه من ممالكه على رسمه والا يعارضه في شيء يدبره ويراه فلم يجبه الى ذلك وقال لي والدته واهل وولد ونعمة قد ريت منذ خمسين سنة وهي كلها في يد ركن الدولة ولا استطيع مفارقتها ولا يحسن بي ان يتحدث عني بخالفته ولا يتم ايضا لك ذلك مع ما عاينك به من الجميل ولكي اعاهدك اذا قضى الله على ركن الدولة ما هو قاض على جميع خلقه ان اصير اليك مع قطعة عظيمة من عسكره فانهم لا يخالفوني وركن الدولة مع ذلك هامة اليوم او غد وليس يتأخر امره واستقر بينهما ذلك سرا لا يطلع عليه الا محمد بن عمر العلوي فانه توسط بينهما واخذ عهد كل واحد منهما على صاحبه ولم يظهر ذلك لاحد حتى حدثني به محمد بن عمر بعد هلاك ابي الفتح ابن العميد ولكن الغلط القبيح من ابي الفتح كان انه اقام مدة طويلة ببغداد وطمع في املاك اقتناها هناك واقطاعات حصلها واصول اصلها على العود اليها ثم التمس لقبا من السلطان وخلعوا وحوالا لا تشبه مافارقه عليه عضد الدولة ثم استخلف ببغداد بعض اولاد التناء

يشيراز يعرف بابي الحسين ابن ابي شجاع الارجاني من غير
اختبار له ولا خلطة قديمة تكشف له امره فلما خرج كانت تلك
الاسرار التي بينه وبين بختيار والتراجم بينهما تدور كلها على يده
ويتوسطها ويهدي الى عضد الدولة جميعها ويتقرب اليه بها فلما
عرف عضد الدولة حقيقة الامر ومخالفة ابي الفتح ابن العميد له
ودخوله مع بختيار فيما دخل فيه مع اللقب السلطاني الذي حصله
وهو ذو الكفارين ولبسه الخلع ور كوه ببغداد مع ابن بقية في
هذه الخلع عرف مكشفته اياه بالعداوة وكنتم ذلك في نفسه الى
ان تمكن منه فاهلكه .

عاد ابو الفتح من بغداد الى الري وبقي في الوزارة الى ان
توفي ركن الدولة في المحرم سنة ٣٦٦ فورد ابنه مؤيد الدولة من
اصبهان الى الري في صفر وخلع على ابي الفتح واستوزره في شهر
ربيع الاول وكان مع مؤيد الدولة صاحب ابن عباد فكره
ابو الفتح موضعه وبعث الجند على الشغب حتى هموا بقتله وتلطف
ابن عباد في خلال ذلك لابي الفتح وقال له :

انا انتظلم منك اليك واتحمل بك عليك وهذا
الاستيحاش سهل الزوال اذا تألفت الشارد من حلمك وعطفت

على الشائع من كرمك ولني ديوان الانشاء واستخدمني فيه ورتبني بين يديك وامضرتني بين امرك ونهيك وممني برضاك فاني صنعة والدك واتخذني بهذا صنعة لك وليس يحصل ان تكر على مابني ذلك الرئيس فتهدمه وتنقضه ومتى اجبتني الى هذا وآمنتني فاني اكون خادمك بحضرتك وكاتبنا يطلب الزلفة عندك في صغير امرك وكبيره وفي هذا اطفاء النائرة التي قد ثارت بسوء ظنك وتصديقك اعدائي علي . فقال في الجواب والله لا تجاورني في بلد السرير وبحضرة التدبير وخلوة الامير ولا يكون لك اذن علي ولا عين عندي وليس لك مني رضى الا بالعود الى مكائك من اصبهان والسلو عما تحدث به نفسك .

فامر مؤيد الدولة الصاحب بالعودة الى اصبهان وامر ذلك في نفسه الى اشياء كان ينسبط فيها ابو الفتح يحمله عليها نزقة الشباب وانضاف الى ذلك تغير عضد الدولة عليه وكثرة ميل القواد والعساكر اليه وامتدت العين الى ضياعه وامواله وخزائنه واسبابه ودوره وعقاره وبساتينه فانه كان يملك من ذلك ما يفوت الوهم فكاتب عضد الدولة الى اخيه مؤيد الدولة بالقبض عليه واستصفاء امواله وتعذيبه .

واتفق ان ابا الفتح استدعى يوما ندماء وعيماً لهم مجلساً
عظيماً واظهر من الزينة وآلات الفضة والذهب والصيني وما
شا كله ما يغوت الحصر وشرب واستفزه الطرب وكان قد شرب يومه
وليته فعل شعراً غني به وهو :

دعوت المنى ودعوت العلى فلما اجابا دعوت القدر
وقلت لا يام شرخ الشباب الا ان هذا اوان الفرح
اذا بنى المرء آماله فليس له بعدها مقترح
فلما غني بالشعر استطابه وشرب عليه الى ان سكر وقال لعلمائه
غطوا المجلس ولا تستطوا منه شيئاً لا صطح في غد عليه وقال لندمائه
با كروني وقام الى بيت مناه وانصرف عنه الندماء فدهاء مؤيد الدولة
في السحر فلم يشك انه لهم قبض عليه في يوم الاحد سابع شهر ربيع
الاخر سنة ٣٦٦ وادخلت عليه الشهود فشهدوا عليه ببيع املاكه
جميعها وضياعه ومستغلاته من مؤيد الدولة فلما حضر العدول اخرج
اليهم كتاباً كان كتبه بطلاق امرأته ابنة جستان واشهدهم طاعاً
على نفسه بذلك وقيل انه انما فعل ذاك خوفاً من مؤيد الدولة ان
يفضحه فيها فاراد ان يفصل منها وتبين منه لئلا يلزمه العار وحمل
في تلك الليلة الى قلعة استوناوند وبدرت منه كلمات في حق عضد

الدولة نمت اليه فزادت في استيحاشه مد فانهض من حضرته من
ثكل بتعذيبه واستخراج امواله والتنكيل به فاول ما عمل به ان
سمل احدى عينيه ثم نكل به وجز لحيته وجدع انفه وعذب
بانواع من العذاب ففي تلك الحال يقول وقد يئس من نفسه
واستأذن في صلاة ركعتين فصلاهما ودعا بدواة وقرطاس
وكتب :

بذل من صورتي المنظر لكنه ما غير المخبر
ولست ذا حزن على فائت لكن على من لى يستعبر
وواله القلب لما مسني مستخبر عني ولا يخبر
فقل لمن سر بما ساءنا لا بدان يسلك ذا المعبر

ولما ايقن ان القوم يريدون دمه وانه لا ينجو منهم وان بذل
ماله مد يده الى جيب جة عليه ففتقه عن رقعة فيها ثبت مالا
يحصي من ودائمه وكنوز ابيه وذخائره فالتقاها في كانون نار بين
يديه وقال للموكل به اصنع ما انت صانع فوالله لا يصل من اموالي
المستورة الى صاحبك دينار واحد فما زال يعرضه على العذاب الى
ان تلف ولما حس بالقتل قال :

راعوا قليلا فليس الدهر عبدكم كما تظنون والايام تنتقل

وكان قد اغري قبل القبض عليه بانشاد هذين البيتين
ملك الدنيا اناس قبلنا رحلوا عنها وخلوها لنا
ونزلناها كما قد نزلوا ونخلوها لقوم بعدنا
وقال في الحبس :

حبال قومي يحفوني اكابرهم ان اطاعتهم الايام والدول
ان تقاصر عني الحال تقطعني عراهم ساء ما شاؤوا وما فعلوا
اغراهم ان هذا الدهر اسكتني عنهم وتنطق فيه الشاء والابل
قد ما رميت فلم تبلغ سهامهم واخطأ الناس من مر به زحل
ووجد على حائط مجلسه بعد قتله :

ملك شدي عرى الميثاق بامان قد سار في الآفاق
لم يحل رأيه ولكن دهري حال عن رأيه فشد وثاقي
فقرى الوحش من عظامي ولحي وسقى الارض من دمي المهرق
فعلى من تركته من قريب اوحيب نحيمة المشئاق
ورثاه ابو بكر الخوارزمي بقصيدة منها :

اهوى القيامة لا لشيء غير ان القاك فيها والانام حضور
واحب فيك الموت علما انني بعد الممات الى اللقاء نصير
وهكذا فقد اندثر بنو العميد بمقتل ابي الفتح وفيهم يقول

بعض الشعراء :

سرويت على ديار بني الصيد فالفيت السعادة في خمود
قفل للشامت البافي رويدا فانك لم تبشر بالخلود

وابو الفتح بعد اديب يسلك طريق والده في الكتابة والشعر
على ان شعره اعذب من شعر ابيه قال ابو حيان التوحيدي « واما
ابو الفتح ذو الكفایتين فانه كان شابا ذكيا متحركا حسن
الشعر مليح الكتابة كثير المحاسن ولم يظهر كل ما كان في نفسه
لقصر ايامه واستتعال دولته وطفوها بسرعة »

وقال ابو الحسين ابن فارس جرى في بعض ايامنا ذكر
ليبات استحسن الاستاذ الرئيس وزنها واستحلى روتها واشد
جماعة ممن حضر ما حضرهم على ذلك الروي وهو قول القائل :
لئن كفت والا شققت منك ثيابي

فاصغى الينا ابو الفتح ثم انشدني في الوقت :

يامواها لعذابي اما رحمت شبابي
تركت قلبي قريبا نهب الاسى والتصابي
ان كنت تنكر ما بي من ذلتي واكتسابي

فارفع قليلا قليلا عن العظام ثيابي
ومن شعره قوله :

عودي وماء شيبتي في عودي لا تعمدني لمقاتل المعسود
وصليه ما دامت اصائل عيشه توؤويه في فيء لها ممدود
ما دام من ليل الصبي في فاحم رجل الذرى فيناز كالعنقود
قبل المشيب فطارقات جنوده يبدلنه يققا بسحم سود
وقوله من نيروزيه في ابيه :

ابتر بنروز اياك مبشرا بسعادة وزيادة ودوام
واثر ب فقد حل الريع نقابه عن منظر مهلل بسام
وهديتي شعر عجيب نظمه ومديحه يبق على الايام
فاقبله واقبل عدر من لم يستطع اهداء غير نتيجة الافهام
وقوله في اترجه اهداها الى ابيه :

اتت صفراء تحكي لون ذي مقه وريح راح حساها شادن خنت
زفتها حين زفت لي على امل اني غلامك لامين ولا عبث
وقال :

اذا انا بلغت الذي كنت استهي واضاعاه الفا فكلني الى الخمر
وقل لنديمي قم الى الدهر فاقترح عليه الذي تهوى ودعني مع الدهر

وقال :

الذين لي من يفي بشكر الليالي اذ اضافت خيالها وخيالها
لم يكن لي على الزمان اقتراح غيرها منية فجاد بها لي
وقال :

يقول لي الواشون كيف تحبها فقلت لهم بين المقصر والغالي
ولولا حذاري منهم لصدقتهم وقلت هوى لم يهوه قط امثالي
ومن شعره :

اني متى اهزر قناتي تنثر اوصالها انبوبة انبوا
ادعو بعاليها العلى فتجيبني وافي بمجد سنانها المرهوبا
وقوله من قصيدة في عضد الدولة اولها :

عتبت على الايام لو عرفت عتبا وعاتبته لو اعقبت ذنبها عتبي
قضت بيننا احكامها البين كلما طلبن بنا شرقا غربين بها غربا
تجذب عني الشمس من نور وجهها وتمنح رياها الر كائب والر كبا
ومنها :

وكت اظن الحب قبل خلافة فها هو ذا يفري بمخلبه الخلبا
تدور السقاة بالاباريق ييننا فنحسبها مربا يزجي لنا مربا
ومنها :

وقد نظمت شمل العصابة روضة منورة النوار تحسبها عصابة
ومنها في وصف النجائب :

متى لم ازل اقصى المنى بنجابها فلا نهضت نجبا تسير بنانجبا
ولا رحلت نحوي العفاة رحالها ولا كن لي ما بين آمالها نيبا
ولا كنت عبد للذي الدهر عبده اعد النجوم بعد صبحته صجبا
وقوله من قصيدة اخرى فيه اولها :

افضت عقود ام افيضت مدامع وهذي دموع ام نفوس هوامع
على الملك قوام وللدين حافظ وللال وهاب وللجار مانع
اسودولكن الحراب عزيزها شمس ولكن الصفوف مطالع
اشاحوا وماشحوا وناثبوا وماثبوا وكان لهم تحت المنايا منافع
ومنها في ذل الاعداء :

اذا قم ذل المزيمة فانحنت قنات الظهور واستقام الاخادع
وكان لهم لبس المعصر عادة نجاطت لهم منه السيوف القواطع
ومنها :

بطرتم فطرتم والعصا زجر من عصى وتقويم غبدها لون بالهون نافع
ومنها :

تبسمت والخيل العتاق عوابس واقدمت والبيض الرقاق هوالع

جاءت بصبح النمرلين جوعهم وكيف بقاء الليل والصبح صاعد
فما الصبح مناد ولا الليل خاذل ولا النصل خوان ولا السهم ظالم
ومنها في وصف الشعر :

ومقترحات في القوافي بلداءة بدائع الاحسان فيها ودائع
كلام شكوا واطلقت من عنانه صنائع يخرجلن النهار نواصم
خدمت بقولي ذا ومن قبل قوله خدمت وغى والقول للفعل شافع
وقال من اخرى وقد ذكر الشعر :

فان كان مسخوطا فقل شعر كاتب وان كان مرصيا فقل شعر كاتب
وقال :

دعاني في الفلاج الليل صبح فنادى قم فحي على الفلاح
فقلت له ترفق يا مادي اليس الصبح مسود النواحي
خفري وللدام وحسن وجهي صباح في صباح في صباح
ومن كلام ابي الفتح وقد جرى حديث ابي اسحق الصابي :
« ذاك رجل له في كل طراز نسج ، وفي كل حومة رهج ، وفي
كل فلاة ركب ، ومن كل غامة سكب ، الكتابة تدعيه باكثر مما
يدعيها ، والبلاغة تحلى به باحسن مما يتحلى هو بها »

المفهرس

صفحة	
٣	ابن العميد
٥	عصر ابن العميد
٨	النهضة الفارسية
١٥	الدولة البويهية
١٩	اسرة ابن العميد
٢٠	العميد (والد ابن العميد)
٢٤	اولية ابن العميد
٢٧	اتصاله ببني بويه
٢٩	وفاته
٣٠	كتبه
٣١	ابن العميد وزيرا
٣٥	ابن العميد عالما
٤٢	ابن العميد كاتبا
٤٥	اسلوبه ، خصائصه
٥٣	الصنعة في الادب العربي
٦١	ابن العميد شاعرا
٦٣	صفته و اخلاقه
٧٣	اخبار ابن العميد
٨٣	نصوص من كلام ابن العميد
١٠٨	فصول من كلامه تجري مجرى الامثال
١١٠	امثلة من شعره
١٢٤	ابنه ابو الفتح

جدول الخطأ والصواب

خطأ	صواب	منظر	صفحة
يضاء	يضاء	٨	٧
مظاهر	مظاهر	٩	٧
يها	فيها	١٥	٨
تركستان	وتركستان	١٦	٨
واحد	وابو الحسين احمد	١٠	١٥
من أيام	من أيام	٢	٢٤
صر	نصر	٥	٢٤
خبار	اخبار	١٥	٢٤
طوبلا	طويلا	٢٠	٢٩
مناريح	منادح	١١	٤١
لمت	قلت	١٦	٤١
قال صعب	قال صاحب	١١	٦٥
ممن صاحب	ممن صاحب	١١	٦٥
يتعلم	يتعلم	١١	٦٥

أئمة الأدب

تأليف

خليل مردم بك

رسائل متسلسلة في تراجم اعلام
الأدب وما قيل فهم ودراسة أدبهم
وشواهد من أقوالهم وقد صدر منها:

صفحة	قروش سورية
١ الجاحظ ٩٦	١٥
٢ ابن المقفع ٩٦	١٥
٣ ابن العميد ١٤٤	٢٥

وستصدر قريباً الرسالة الرابعة

الصاحب

ابن عباد

الى طلاب البكالوريا:

كل ما نحتاجون اليه من كتب عصرية وقديمة بارخص الاثمان تجدونه
في مكتبة عرفة بدمشق

5303